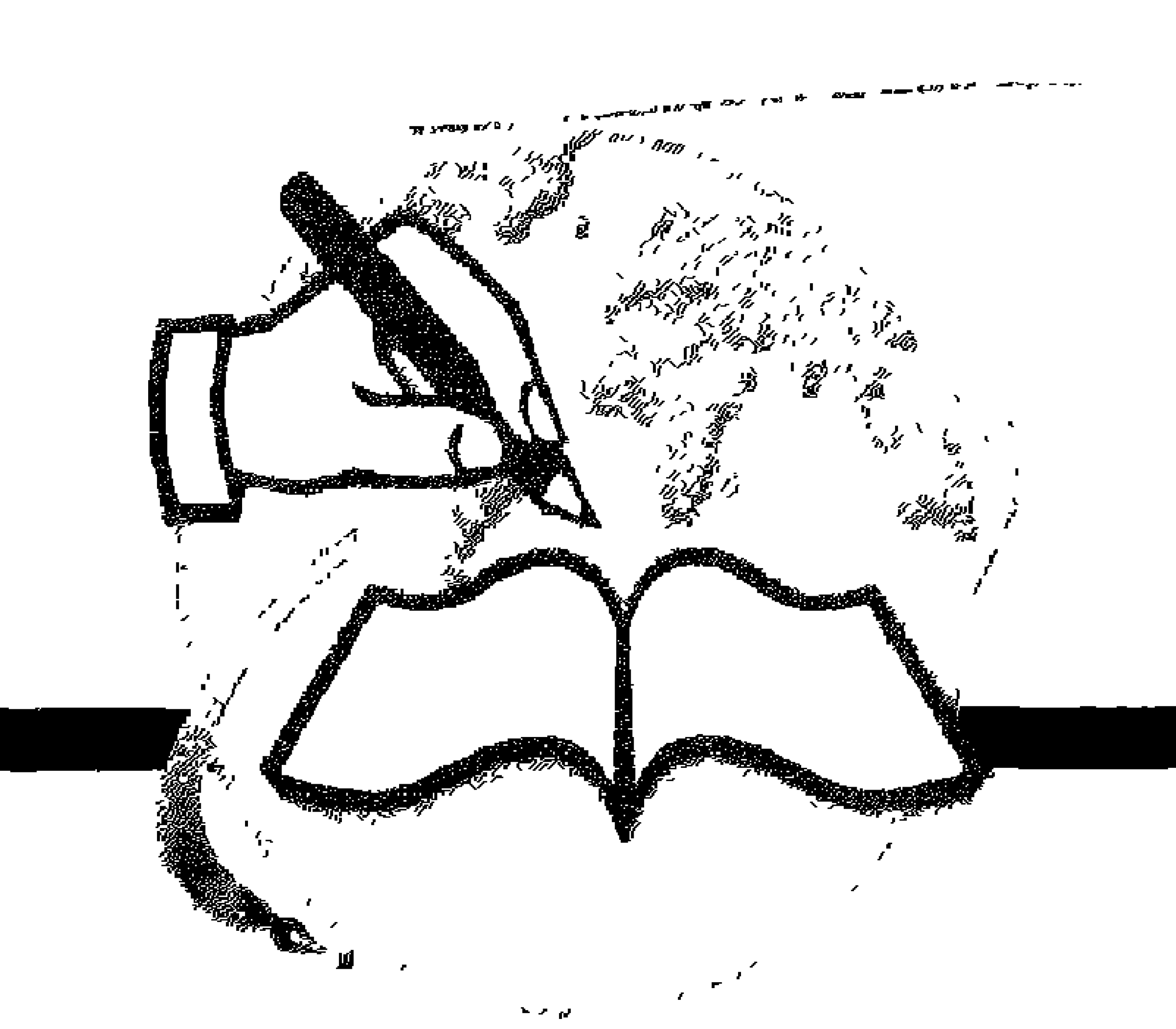


يهـــود ...
ولكن مصريون

سليمان الحكيم

صالح

كتاب 



ينــاير ٢٠٠٨

www.gombook.net.eg

رئيس مجلس الإدارة

محمد أبو الحديد

E-mail:abuelhaded@eltahrir.net

رئيس التحرير

على هاشــم

E-mail:aly_hashem@gitc.com.eg

يهود.. ولكن مصريون

سـليمان الحكيم

دار الجمهورية للصحافة

١١١ ـ ١١٥ ش رمسيس

ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية»
وإذا كان لديك أى مقترحات أو
ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
٢٥٧٨٣٣٣٣ ٢٥٧٨١٠١٠
http://www.eltahrir.net

يناير ٢٠٠٨



تصميم الغلاف الفنان : صالح البرص

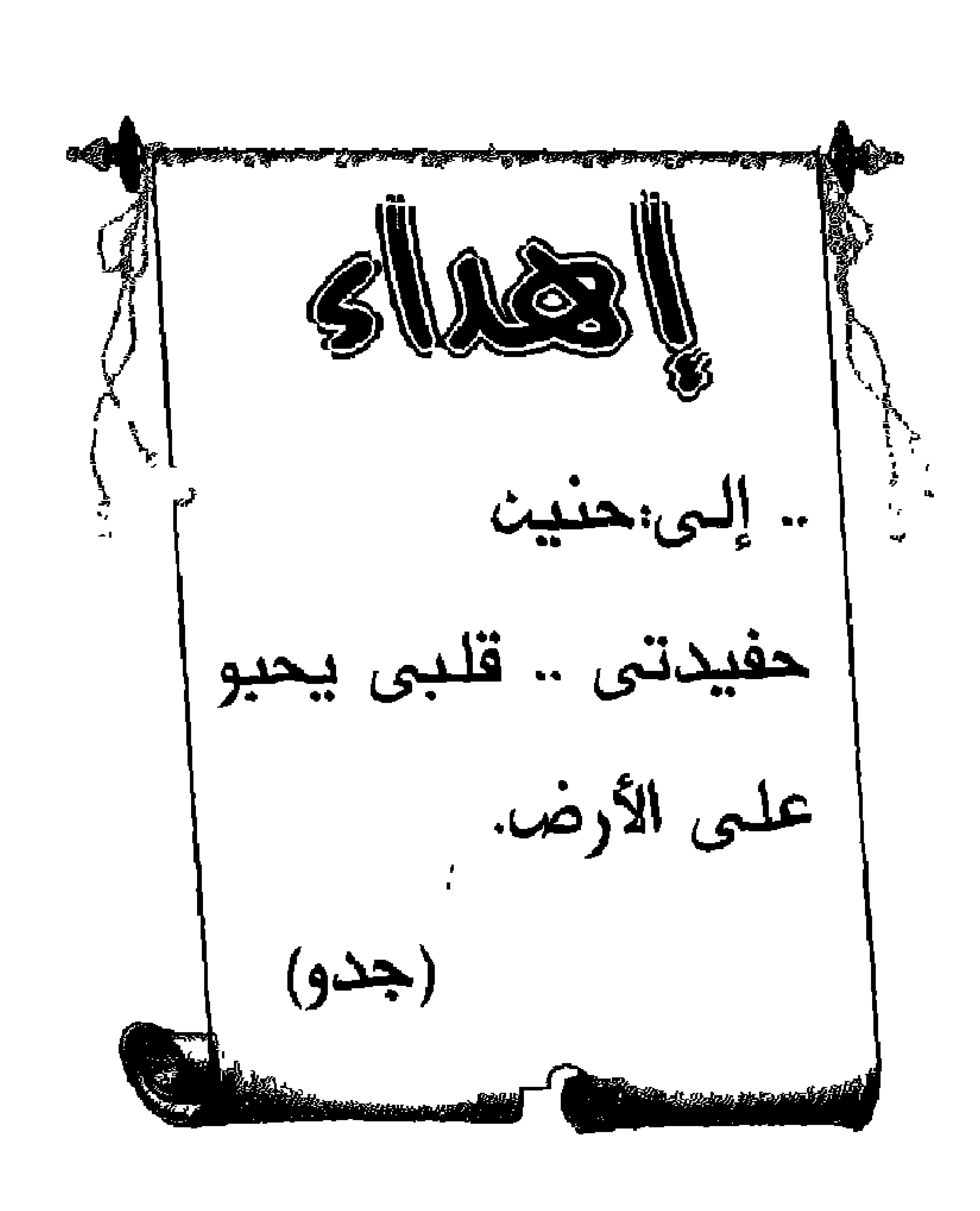
أسعار البيع فى الخارج

سوريا	١٠٠ ل.س
لبنان	٤٠٠ ل.ل
الأردن	١,٥ دينار
الكويت	١ دينار
السعودية	١٠ ريال
البحرين	١ دينار
قطر	١٠ ريال
الإمارات	١٠ درهم
سلطنة عمان	١ ريال
تونس	٢ دينار
المغرب	٣٠ درهم
اليمن	٣٠٠ ريال
فلسطين	٢ دولار
لندن	٢ جك
أمريكا	٥ دولار
استراليا	٥ دولار استرالى
سويسرا	٥ فرنك سويسرى

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
٦٠ جنيها
الدول العربية ٣٠ دولاراً
أمريكيا
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا
٣٨ دولارا أمريكيا
أمريكا وكندا
٤٥ دولارا أمريكيا
باقى دول العالم
٥٨ دولارا أمريكيا

سكرتير التحرير
سيد عبد الحفيظ


إهداء
.. إلى:حنين
حفيدتي .. قلبي يحبو
على الأرض.
(جدو)

هذا الكتاب.. وكاتبه

منذ سنوات كتب توفيق الحكيم مقدمة رواية «الدرجة الثامنة» لكاتب مجهول، قال توفيق الحكيم وهو يقدم المؤلف للقراء الذين لا يعرفونه ولم يسمعوا عنه: ـ «إذا كنتَ موهوباً وصادق الرغبة فى دراسة الأدب، وفى الكتابة فاستمر فى طريقك، واصل الدراسة والكتابة ولا تيأس أبدا وما دمت مبدعا ستلمع، وتشتهر».

استمع الكاتب الشاب لما قاله الكاتب الكبير والتزم بالنصيحة فأصبح صحفياً كبيراً وكاتباً موهوباً، ومديراً لدار الأوبرا.

وعرف الناس صلاح ذهنى الذى كان يردد ما قاله توفيق الحكيم لشباب الكتاب.

أما رواية «الدرجة الثامنة» فإن صلاح ذهنى لم يذكرها فى قائمة الكتب التى أصدرها!

إنها كانت مقدمة أو بداية كاتب كبير، وهذه مهمتها ودورها فحسب الآن.

ماذا يمكن أن يقال كمقدمة لهذا الكتاب، وكاتبه سليمان الحكيم الذى هو ليس بمغمور ولا مبتدىء؟

لقد ألف سليمان الحكيم أكثر من خمسة عشر كتابا فى السياسة والفن.. وتنقل فى العمل الصحفى بين بيروت ودمشق والقاهرة، وشغل منصب مدير تحرير لعدة صحف ومجلات أدبية وسياسية، ولم يكن اهتمامه بالسياسة يقل عن شغفه بالفن، واستطاع أن يمزج بينهما ببراعة السياسى والفنان..

وعندما تقرأ كتابيه «أصول المسألة اللبنانية» و«مصر الفرعوبية» تتعجب كيف استطاع سليمان الحكيم أن يؤلف كتاباً هو «كاريوكا بين الفن والسياسة» عن الراقصة تحية كاريوكا وعملها السياسى ولكن هدفه كان سياسيا فى المقام الأول؛ ليبين دور الفنان فى قضايا الوطن وما يجب أن يؤديه أو كيف يفعل؟

وفي الكتاب الحالي «يهود.. ولكن مصريون» نجد سليمان الحكيم يختار صحفيين وفنانين وفنانات من اليهود، ابتداءً من الصحفي الكبير يعقوب صنوع إلى المغنية والممثلة ليلى مراد إلى الملحن والمغني داود حسني والممثلة نجمة إبراهيم، الذين أعطوا لمصر بصرف النظر عن ديانتهم.

فهدف الكاتب في البداية وفي النهاية مصر وما يقدمه لها الفنان بغض النظر عن دينه.

فالكتاب يمكن أن يأخذه القارئ على أنه دفاع عن فنانين يهود، ويمكن اعتباره رسالة في حب مصر من كل مواطنيها ـ مسلمين ومسيحيين ويهوداً ـ فالكاتب يبحث عن دور الفنان في خدمة مصر.

محسن محمد

قبـــــل أن تقـــــرأ

كانت «المصرية» هى أول دين يعتنقه المصريون «قبل أية ديانة أخرى».. سماوية كانت أو وضعية.

كـانت مـصـر هى المعبـود والوطن فى آن.. وحـين ظهـرت الديانات الوضـعيـة أو السماوية اختلف المصريون حولها، ولكن ظلت مصر فوق كل اختلاف وكل دين.

وفى الأزمات والمحن التى تجلت فى أوقات الخطر، كانت مصر تجمع كل أبنائها على اختلاف أديانهم فى خندق واحد.. دفاعاً عنها وحماية لها.

لقد كانت تلك هى القاعدة طوال التاريخ المصرى قديمه وحديثه، وغير ذلك كان هو الاستثناء الذى لا يقاس عليه إلا خطأ وخطلاً.

وفى التاريخ الحديث، ظهرت إسرائيل.. دولة على بوابة مصر الشرقية لتجمع اليهود من مختلف البقاع، واتجهت الأنظار ناحية اليهود المصريين دون غيرهم من يهود العالم لترى ماذا هم فاعلون؟ هل سيغلِّبون يهوديتهم على مصريتهم أم العكس؟

هل هم مـصريون ولكن يهود.. أم يهـود ولكن مـصريون؟ وجـاءت الإجابة مـختلفة. فالبعض منهم كانوا «مصريين ولكنهم يهود».... والبعض الآخر كانوا «يهوداً ولكنهم مصريون».

وعن الفريق الثـانى يتحـدث هذا الكتاب الذى يتناول حـياة الفنانين المصريين من اليهود، ومواقفهم السياسية من القضايا الوطنية التى كانت مطروحة على الساحة. ومدى تجاوبهم معها سلباً أو إيجاباً.. وسوف نرى أن الغالبيـة منهم كـانت فى الصفوف الأولى من الوطنيين رافعين شعار «مصر فوق الجميع» وفوق كل دين أو عقيدة.

وتمجيـداً لدور هؤلاء، وتخليـداً لذكـراهم كـانت هذه المقالات.. وهذا الكتاب الذى يجمعها.

سليمان الحكيم

1

يهود .. ولكن مصريون

- يهـودى .. عضـو فى لجنة أول دستور بعد الثورة !
- أبطال مصر فى الأولمبياد كانوا من اليهود !
- سيطرة يهودية كاملة على النشاط المالى والاقتصادى فى مصر !
- كبار المسئولين فى الحكومات المصرية كانوا من اليهود !

بينما كان يهود الغرب يعانون الاضطهاد والعنصرية فإن اليهود المصريين كانوا يتمتعون بكثير من الامتيازات، خاصة فى الحقبة الاستعمارية، حين اعتبرهم الإنجليز فى عداد الأجانب الذين تسرى عليهم الامتيازات الأجنبية فى مصر.

ولعله لا يخفى على أحد مهما بلغ من السذاجة الهدف الذى كان يرمى إليه الاستعمار الإنجليزى من وراء ذلك، فقد أرادوا جعل أبناء الطائفة اليهودية فى مصر «رأس جسر» لهم فى المجتمع المصرى.. وحاولوا أن يصنعوا منهم حلقة اتصال بينهم وبين المصريين، وقد استجاب - للأسف - عدد كبير من أبناء الطائفة اليهودية لهذا الفخ الاستعمارى، وقبلوا التعاون مع الاستعمار الإنجليزى على هذا الأساس، بينما رفض عدد آخر من المواطنين اليهود إلا أن يظلوا على مصريتهم.. ضاربين عرض الحائط بكل الإغراءات التى قدمت لهم ثمناً للعب هذا الدور الرخيص.

ولأن المصريين كانوا أكثر شعوب العالم سماحة، فقد ظلت مصر هى قبلة اليهود من جميع أنحاء العالم باعتبارها أرضاً مقدسة، ولهذا فقد شهدت معظم فترات التاريخ موجات من الهجرة اليهودية من مختلف بلاد العالم.. خاصة أوروبا إلى المدن بل القرى المصرية.

وحين جاءت الحقبة العثمانية بلغت موجات الهجرة اليهودية إلى مصر ذروتها خاصة أثناء الحرب بين تركيا واليونان.

ومن ناحيته شجع محمد على (الكبير) استقرار الجاليات اليهودية فى مصر، فوفد إليها عدد كبير من يهود أوروبا حين وجدوا فيها مناخاً ملائماً للعيش والاستقرار، وهو ما لم يجده أى منهم فى أوروبا حيث كان يعيش..

وحين سقطت مصر فريسة للديون الخارجية فى عهد الخديوى إسماعيل

ازداد تمتع الأجانب - واليهود على رأسهم - بالامتيازات الأجنبية، وحماية قناصل الدول الأوروبية بل برعاية الحكومة المصرية ذاتها.

وفى عهد الخديوى إسماعيل توسعت الحكومة فى الاعتماد على اليهود فى الكثير من الوظائف العامة.. خاصة أن العهد كان يتميز بالانفتاح على أوروبا، إذ كان شعار المرحلة فى ذلك الوقت والذى رفعه الخديوى إسماعيل هو «مصر قطعة من أوروبا».. وقد رأى إسماعيل وتابعوه من حكام مصر أن اليهود هم الأقدر على تخليص مصر من شرقيتها والالتحام بأوروبا «الأم».

نشاط محلوظ

لهذا فقد ازدهرت حركة اليهود فى مصر وبدأت سيطرتهم على المشروعات والمؤسسات المالية والمصرفية، فازداد نفوذهم فى الدولة على نحو لم يكن متوافرا لغيرهم من أبناء البلد، ولاشك أن مرحلة الاستعمار قد ساعدت على خلق طبقة من اليهود ترتبط مصالحها ببقاء الاستعمار واستمراره.. ومد الاستعمار حمايته ليشمل بها أبناء الطائفة اليهودية التى لم تكن تقل عن حماية الإنجليز أنفسهم.. وقد عمد الاستعمار من وراء هذه السياسة الماكرة إلى زيادة عزلة اليهود فى مصر.. وخاصة الأجانب منهم، بينما بقى اليهود المصريون يعانون مما يعانى منه كل أبناء الوطن.. فكان منهم الشحاذون والباعة الجائلون وغير ذلك من المهن الحقيرة.. ولم يتخلف اليهود المصريون عن إخوانهم المسلمين والمسيحيين فى تأسيس الجمعيات التى تعنى بشئون الدين والمجتمع، وقد أعلن فى عام ١٩٣٥ عن تأسيس جمعية الشبان اليهود المصريين على غرار جمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبان المسيحيين، وجاء فى إعلان مبادئها والهدف من إنشائها «خدمة مصر» ورفع شأن اليهود فى البلاد أدبياً واجتماعياً وتعويد الشبيبة على الأخلاق «القومية» والتقريب بين عناصر الأمة على اختلاف أديانها وأجناسها.

أبطال .. مصريون

فى عام ١٩٣٥ تأسس «النادى الصهيونى» و«الاتحاد العالمى للشبيبة الإسرائيلية» بمصر والذى يهدف إلى إحياء اللغة العبرية ونشر المبادئ الصهيونية.. كما تأسس عدد آخر من الجمعيات والنوادى والمحافل

«الإسرائيلية» أو الصهيونية فى مصر طوال حقبة الثلاثينيات، كانت كلها نوادى رسمية مشهرة لم تقف القوانين والتشريعات المعمول بها فى ذلك الوقت حائلا دون قيامها.. ولم يطالب أحد بإغلاقها أو حتى بفرض الرقابة على نشاطها.. لأنها كانت تخص طائفة من أبناء الوطن.. وفى إطار السماحة التى اشتهرت بها مصر طوال تاريخها، ولم يكن أحد فى هذا الوقت المبكر يعرف حقيقة تلك الجمعيات والنوادى أو الهدف الحقيقى من وراء إنشائها حتى ظهرت مشكلة فلسطين فجأة على سطح الحياة السياسية.

وكما انخرط اليهود فى النشاط الثقافى المصرى انخرطوا أيضاً فى النشاط الرياضى حتى أن بعضهم مثل مصر فى بعض المسابقات الرياضية الدولية مثل: «سلفاتور شيكوريل» الذى كان بطل مصر فى لعبة «الشيش» أو سيف المبارزة، كما مثلها أيضا فى دورة الألعاب الأولمبية عام ١٩٢٨، كما حصل فريق نادى «المكابى» على بطولة مصر فى كرة السلة، وحقق الصهيونى الشهير «إيزاك إميل» بطولة مصر فى الملاكمة ومع «كوهين نجار» فى بطولات التنس و«رحمى» فى رمى القرص والمصارعة وحصل على عدة بطولات فيها.. وتولى «جاك جوهر» عضو اتحاد المكابى بفلسطين منصب مراقب عام النشاط الرياضى بمصر فى عهد الملك فؤاد وهو ما يساوى «المجلس الأعلى للشباب والرياضة» الذى كان يرأسه رئيس الوزراء بنفسه ولم يكن أحد يعلم حتى ذلك الوقت أن النشاط الرياضى اليهودى فى مصر كان يخفى وراءه نشاطاً سياسياً معادياً، فقد ساهمت فرق الكشافة والجوالة اليهودية وبقية الأندية اليهودية فى مصر فى جمع التبرعات بهدف شراء الأراضى فى فلسطين لاستيعاب المهاجرين اليهود فى المستعمرات التى كانت تقام عليها، كما أوفدت هذه الجمعيات والأندية اللجان والفرق إلى «إسرائيل» لاستقبال المهاجرين اليهود إليها.. وتهيئة سبل الإقامة والاستقرار لهم.

حقوق.. مفترضة

ولم يكن اليهود المصريون فى حاجة لضمانات من أى نوع لممارسة حقوقهم كمواطنين، فقد تحقق لهم ذلك على مر التاريخ والأزمان دون مضايقات من أحد.. رغم خلو التشريعات والقوانين المصرية من أية إشارة لتلك الضمانات التى كان يفترض وجودها فعلاً دون الحاجة للنص عليها كتابة، حتى جاء

دستور ١٩٢٣ فنص على مبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين. كما شدد الدستور الجديد على حرية العقيدة والرأى والتعليم.

وقد تمتع اليهود المصريون بكامل الحرية فى ممارسة شعائرهم الدينية ونشاطاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى أن الحكومة كانت تمنح لهم الأراضى مجاناً لبناء المعابد عليها؛ مما ساعد على بناء الكثير من المعابد اليهودية فى مختلف المدن المصرية.. حتى أصبحت أكثر مما يحتاجه عددهم الضئيل فى مصر.. كذلك فقد تمتعت الطائفة اليهودية فى مصر بحريتها الكاملة فى إصدار الصحف التى تعبر عنها فى مختلف شئون الحياة دون رقابة أو مصادرة حتى وهم يؤكدون فى صحفهم على ما أسموه «بالحقوق التاريخية للشعب اليهودى فى فلسطين»!!

أهداف سياسية

وكانت مصر - كما حددها زعماء الصهيونية - مركزاً مهماً وخطيراً لبث الدعوات والدعاية الصهيونية فى الشرق العربى كله.. ولهذا فقد تركزت فيها - وبقوة - الصحف ومراكز الإعلام الصهيونى، وذلك للترويج لمشروعاتهم الصهيونية فى فلسطين فى محاولة لكسب الرأى العام العربى كله لصالح تلك المشروعات التى كانوا يخططون لها.

وفى عام ١٩١٩ أسس الدكتور ألبرت موصيرى مجلة «إسرائيل» بثلاث لغات: الفرنسية والعبرية والعربية حتى توقفت عن الصدور باللغة العبرية عام ١٩٣٤ فأصدر يعقوب مالكى رئيس تحرير النسخة العربية من «إسرائيل» صحيفة جديدة باسم «الشمس» لتعبر عن وجهة نظر الطائفة اليهودية فى مجريات الأحداث فى الشارع المصرى.

ويقول مؤرخو الصحافة المصرية عن الفرق بين الصحيفتين: «إن صحيفة «إسرائيل» كانت «صهيونية» الاتجاهات والميول بشكل واضح فقد دعت إلى المشروع الصهيونى وتأسيس الكيان الإسرائيلى فى فلسطين وروجت لذلك دون تدخل فى الأمور الوطنية المصرية.. بينما كانت جريدة «الشمس» تحاول التوفيق بين المشروع الصهيونى وتطلعات وأهداف الحركة الوطنية فى مصر فى محاولة لإيجاد نقطة التقاء بين التيارين».

وقد شهدت مصر هجرات يهودية إليها من مختلف بلاد العالم التى كانوا يلاقون فيها العنت والاضطهاد. بينما كانوا ينعمون فى مصر بالاستقرار والحرية بسبب قوانين الامتيازات التى تسمح لهم بالعمل والعيش فى حرية كاملة أكثر مما يسمح به لأبناء البلد أنفسهم. هذا بالإضافة إلى أن القوانين الاقتصادية التى كان معمولا بها فى مصر فى ذلك الوقت كانت تسمح للأجانب بالامتلاك.. بل تعطى لهم جميع التسهيلات المطلوبة التى تشجع على ذلك، وكان من نتيجة ذلك كله أن توافد على مصر أعداد كبيرة من اليهود الشرقيين والغربيين وتأسيس عدد من الشركات الزراعية والصناعية والتجارية التى كان أصحابها يحملون أسماء يهودية واضحة مثل: قطاوى وأصلان وشيكوريل وعدس وشملا وصيدناوى وسوارس وغيرهم.

وسيطر اليهود على صناعات وزراعات بأكملها مثل زراعة القطن والمصانع التى كانت تحوله إلى غزل ونسيج، وجمعوا من وراء ذلك الأموال الطائلة التى جعلتهم فى عداد أغنياء العالم وأباطرته المشهورين فى مجال المال والاقتصاد.. كما سيطروا على زراعة الأرز وتجارته وصناعة الأسمنت والسكر وغيرها من الصناعات الاستراتيجية فى مصر.

كما سيطر اليهود على شركات النقل والمواصلات والبريد ولا يزال المصريون يذكرون اسم «سوارس» حتى اليوم وهو صاحب أكبر أسطول لنقل الركاب كما أسسوا البنوك وشركات الصرافة.

وتقول الإحصائيات إن اليهود أسسوا وساهموا فى تأسيس عدد ١٠٣ شركات من مجموع الشركات الاقتصادية العاملة فى مصر والبالغ عددها ٣٠٨ شركات خلال الأربعينيات من القرن الماضى، وهى السنوات التى بلغ فيها العداء لليهود ذروته فى جميع البلاد الأوروبية مما يدل على أنهم كانوا ينعمون فى مصر بما لم ينعموا به فى أى بلد آخر من بلاد العالم من استقرار وسماحة.

يهود فى الحكومة

وليس أدل على التسامح الذى نعم به اليهود المصريون من أنهم كانوا يتقلدون الوظائف العامة والخطيرة دون تمييز فكان منهم القضاة والمديرون

ورؤساء الأجهزة والوزراء فكان «مراد كامل» مستشاراً وقاضياً بمحكمة الاستئناف بمصر و«أشيلى صقلى» مراقباً عاماً للصحافة الغربية وشئون التمثيل والسينما بمصلحة الصحافة والنشر والثقافة بوزارة الداخلية و«ليون قطاوى» مدير القسم الأجنبى بمجلس النواب المصرى وموريس أشكينازى مدير شركة المنسوجات الأهلية، بالإضافة إلى عدد كبير من الوظائف الحكومية المهمة.

أما المناصب السياسية المهمة فلم يحرم اليهود المصريون من نصيبهم فيها، وفازوا منها بنصيب الأسد فى معظم فترات حكم أسرة محمد على.. فكان عدد كبير من اليهود فى حاشية الخديوى إسماعيل الذى استعان بهم فى الحصول على القروض من بيوت المال الأوروبية التى يسيطر عليها اليهود الأوروبيون أمثال «روتشيلد» و«أوبنهايم» وكان يوسف أصلان قطاوى أول يهودى مصرى يعين بالبرلمان، وكان ذلك عام ١٩١٤ وظل عضواً لثلاث دورات متتالية ثم أصدر فؤاد مرسوماً ملكياً بتعيينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٢٧ فكان رئيساً للجنة المالية بالمجلس وكان عضواً بوفد مصر فى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى ريودى جانيرو عام ١٩٢٩ وفى مؤتمر عام ١٩٣٢ وظل عضواً بمجلس الشيوخ حتى استقال بنفسه عام ١٩٣٨.

وكان يوسف قطاوى نفسه وزيراً للمالية فى وزارة أحمد زيوار باشا التى شكلت فى عهد الملك فؤاد عام ١٩٢٤، حيث كان «قطاوى» عضواً بحزب الاتحاد الذى شارك فى تشكيل الحكومة فى ذلك العام.

وكان قطاوى أول وزير مالية مصرياً يصدر مرسوماً بسك العملة البرونزية من فئة المليم ونصف المليم.

وفى التعديل الوزارى الذى أجرى على تلك الحكومة تولى يوسف قطاوى وزارة المواصلات بدلا من المالية عام ١٩٢٥ حتى تمت إقالته فى نفس العام. وكانت زوجة يوسف قطاوى كبيرة الوصيفات فى قصر الملكة «نازلى» زوجة الملك فؤاد.. وأم الملك فاروق ثم أصبحت وصيفة الملكة فريدة زوجة الملك فاروق بعد ذلك.. وكان «أصلان» الابن الأكبر ليوسف قطاوى صديقاً شخصياً للملك فؤاد وكان يشغل فى الوقت نفسه مدير عام أملاك الحكومة.. وعضوا بمجلس الشيوخ وإلى جانب هؤلاء كان هناك «يوسف بتشوتو» الذى كان

عضواً بمجلس النواب ثم عضواً بمجلس الشيوخ عن حزب الوفد عام ١٩٢٨.. كذلك يوسف دبيكوبوتو والحاخام حاييم ناحوم اللذان كانا عضوين بمجلس الشيوخ المصرى والمحامى زكى عريبى الذى كان عضواً بمجلس الشيوخ قبل الثورة ثم اختير عضواً باللجنة المكلفة بوضع الدستور المؤقت للبلاد بعد قيام ثورة يوليو.

وفى الفن أيضاً

هذا عن الصحافة والاقتصاد والسياسة والرياضة.. ولكن ماذا عن الفن؟

لقد شارك اليهود المصريون بإسهامات واضحة فى الفن المصرى.. وقد شهدت البدايات الأولى لأى نشاط فنى فى مصر مشاركة مؤكدة التأثير من أحد اليهود المصريين.. فقد كان «يعقوب صنوع» أبا المسرح المصرى بلا منازع، كما كان واحداً من جيل الرواد فى الصحافة وإليه يرجع الفضل فى إدخال فن الكاريكاتير السياسى فى الصحف المصرية وكان يلقب نفسه بـ«موليير مصر»، أما فى السينما فقد كان «توجو مزراحى» واحداً من جيل الرواد حين أسهم فى صناعة السينما فكان واحداً ممن يؤرخ بهم لبدايات السينما فى مصر.

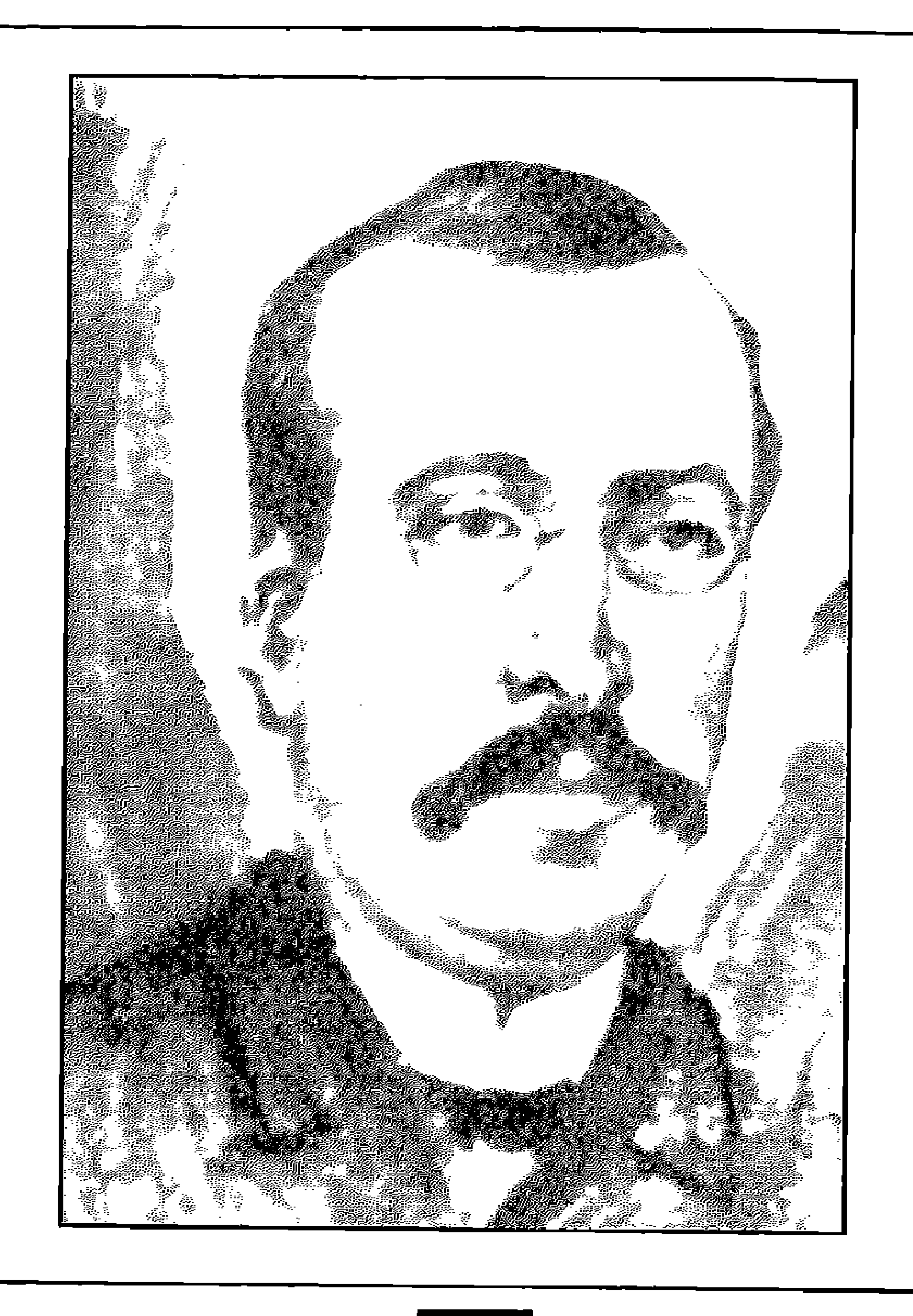
كذلك شهدت الساحة الفنية المصرية أسماء لامعة لبعض الشخصيات اليهودية المصرية مثل: داود حسنى وزكى مراد وليلى مراد ومنير مراد وراقية إبراهيم ونجوى سالم وإلياس مؤدب وكاميليا ونجمة إبراهيم.. وغيرهم ممن حفل بهم سجل الفن المصرى من سينما ومسرح وموسيقى وغناء.

ولاشك فى أن هؤلاء الفنانين قدموا إسهاماتهم الفنية ليس لأنهم يهود. بل لأنهم مصريون فى المقام الأول فقد كان جمهورهم من المصريين وأساتذتهم الذين تلقوا على أيديهم أصول «الصنعة» من المصريين.. وفى مناخ مصرى سمح لهم بممارسة نشاطاتهم بحرية ودون تمييز أو تفرقة.

وعلى الرغم من هذا التسامح الواضح الذى استقبل به المصريون فنانيهم من أبناء الطائفة اليهودية فإن بعضهم قد ضاق بهذا التسامح، واختار أن يكون إسرائيلياً بعد أن نزع عن نفسه رداء المصرية الذى كان يتقمصه منذ مولده على أرض مصر.. ونجد «راقية إبراهيم» التى كانت نجمة السينما

الأولى فى مصر وسيدة المجتمعات الراقية تهاجر إلى أمريكا لتعمل فى الوفد الإسرائيلى بالأمم المتحدة، ثم تفتح بوتيكاً لبيع التحف الشرقية التى تستوردها من إسرائيل والهند.. وهى التى كانت على القمة فى مجتمعها المصرى تنعم بالشهرة والمال والمجد بعد أن كانت مجرد «خياطة» فى حى السكاكينى الفقير، ولكنها نسيت ذلك كله، وفضلت أن تكون بائعة فى أحد البوتيكات على أن تكون مصرية الهوى.. والهوية.

2



يعقوب صنوع

● وهبته أمه للإسلام ليعيش .. فعاش ورفض الإسلام!

● حفظ القرآن الكريم.. وترجم آياته للإنجليزية!

● شارك فى تأسيس الحزب الوطنى.. والثورة العرابية!

● رائد المسرح المصرى.. والكاريكاتير السياسى!

● موليير مصر.. الذى أصبح شوكة فى جنب الخديوى!

هذا اليهودى هو الأب الروحى للمسرح المصرى بلا منازع.

ولد يعـــقــوب روفـــائيل صنوع يوم ١٥ ابريل ١٨٣٩ فى حى باب الشـعـرية بالقـاهرة.. وهو من أحـيـاء القـاهرة الشـعـبيـة، كـان أبواه يدينان باليهودية، كما ينحدران من أصول إيطالية. كان يعقوب هو المولود الخامس لأبويه، وقد مات الأربعة الذين سبقوه إلى الحياة ولم يبق لهـما غيره.. ويحكى يعقوب كيف ذهبت به أمه إلى شيخ مسـجد الشعرانى ليكتب له «رقـية» تحفظ له الحياة فطلب منها الشيخ أن تهبه للإسلام فوعدت وبرت بوعدها ولكن يعقوب يعترف أنه لم يقبل التنازل عن ديانته اليهودية حينما كبر وعلم بما فعلته والدته.. وحين دخل «يعقوب» المدرسة حفظ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، ولم يكن قد بلغ الرابعة عشرة من عمره، بعـد حين أتم حفظ الكتب الثلاثة.

ويقـول يعقـوب صنوع فى مـذكراته إنه كـان يهـوى الشـعـر والزجل منذ سن مبكرة، وكان يؤلف لزمـلائه ومدرسيه بالمدرسة وحين سمـعه والده «روفـائيل صنوع» الذى كان مستشاراً للأمير أحمد يكن باشا حفيد محمد على والى مصر طلب من ابنه أن يؤلف قصيدة فى مدح الأمير ليلقيها بنفسه فى عيد ميلاده وحين سمعه الأمير يكن أعجب به وقرر أن يشمله برعايته.

وحين كبر يعقوب صنوع أوفده الأمير أحمد يكن فى بعثة دراسية إلى إيطاليا لمدة ثلاث سنوات قضاها فى مدينة «ليفورنو» دارساً للموسيقى والرسم والأدب.. وفى إيطاليا شاهد يعقوب مدى التقدم الذى وصلت إليه الفنون الايطالية خاصة فنى الأوبرا والموسيقى.

ولكن فور عودته إلى مصر فوجىء يعقوب صنوع بوفاة الأمير أحمد

يكن.. ثم توفى والده بعد ذلك بأيام فكان على يعقوب أن يكتسب رزقه بنفسه.

كان يعقوب يتقن أربع لغات أجنبية فاستغل معرفته بها فى إعطاء الدروس الخصوصية لأبناء الأمراء والأغنياء فى اللغات والموسيقى والرقص والفنون وفى نفس الوقت كان يضيف إلى حصيلته عددا آخر من اللغات الأجنبية وقال فى مذكراته إنه لم يكد يبلغ الخامسة والعشرين من عمره حتى وجد نفسه يتقن إحدى عشرة لغة أجنبية هى: العبرية والتركية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والبرتغالية والأسبانية والمجرية والروسية والبولندية.. إلى جانب اللغة العربية.. فكان يترجم منها وإليها فى سلاسة ويسر.

وفى عام ١٨٦٨ أى حين بلغ التاسعة والعشرين من عمره عين يعقوب صنوع مدرساً فى مدرسة الفنون والصناعات فى القاهرة وعضواً فى لجنة امتحان المدارس الأميرية «الحكومية» وفى الوقت نفسه كان يعقوب ينشر المقالات والدراسات عن الآداب الإسلامية فى الجرائد الإنجليزية، ويقول: «بينما كنت أطرح الحضارة الأوروبية فى جرائد الشرق كنت أكشف فى الصحف الأوروبية عن جمال الشعر العربى وعمقه. ويقول يعقوب صنوع فى مذكراته كيف تفرغ بعد ذلك لتأليف التمثيليات باللغة الإيطالية، ونذكر منها مسرحيتين هما «الزوج الخائن» و«فاطمة» كما ألف مسرحية بالفرنسية بعنوان «السلاسل المحطمة» وقد مثل المسرحيات على مسرح الجالية الإيطالية بالقاهرة.. بل فى إيطاليا نفسها ولاقت نجاحاً لا بأس به.

ومما يجدر ذكره عن يعقوب صنوع فى تلك الفترة أنه كتب وترجم بعض الكتب التاريخية والأدبية بلغات مختلفة مثل الفرنسية والإنجليزية، كما ترجم جزءاً من القرآن الكريم إلى الإنجليزية، وكتب عدداً من القصائد باللغة الإيطالية كما كتب رسالة عن الدستور العثمانى بالشعر والنثر المقفى.

ولكن أكبر إسهامات يعقوب صنوع وتأثيره كان فى مجال المسرح.. رغم قصر المدة التى تفرغ فيها له وهى عامان فقط، وكان يمكن أن تمتد إلى فترة أطول لولا محاربة الخديوى له، ثم نفيه من مصر إلى فرنسا.

لقد درس يعقوب صنوع الفنون المسرحية فى بعثته بإيطاليا، كما شاهد

الفرق المسرحية التى كان يستقدمها الحكام والأجانب من الخارج للترفيه عن الجاليات الأجنبية بمصر، كما سمع عن المسرح العربى فى لبنان الذى افتتح عام ١٨٤٧، ثم فى سوريا عام ١٨٦٥، فعمل على تأسيس «المسرح المصرى» لحماً ودماً وعن تجربته لإنشاء وتأسيس مسرح مصرى.. يقول فى مذكراته:

«ولد مسرحى على منصة مقهى موسيقى كبير فى الهواء الطلق قائم فى وسط حديقتنا الجميلة حديقة الأزبكية بالقاهرة، وفى تلك الحقبة؛ أى فى سنة ١٨٧٠ كانت فرقة فرنسية مجيدة من الموسيقيين والمغنيين والممثلين وفرقة مسرحية إيطالية ممتازة تقدمان للأوروبيين من أهل القاهرة أطيب متعة.. وشهدت جميع ما قدمه هذا المقهى الموسيقى؛ فإن الفرنسية والايطالية لغتان أحبهما حباً جماً.. وقد درست كبار كتابهما المسرحيين، وهل ينبغى أن أعترف؟ نعم.. إن الفصول الهزلية القصيرة «الفارس» والمسرحيات الكوميدية والتمثيليات الغنائية «أوبريت» والمآسى التى أداها الممثلون على هذا المسرح هى التى أوحت لى فكرة تأسيس مسرحى العربى، وأعاننى الله على إنشائه، ولكنى قبل أن أشرع فى إنشاء مسرحى المتواضع درست دراسة جدية أدباء المسرحية الأوروبيين لاسيما جولدونى وموليير وشريدان وفى لغاتهم الأصلية؛ أى الفرنسية والإيطالية والإنجليزية.. وحين آنست أننى أجيد بعض الإجادة فى فن المسرح كتبت تمثيلية غنائية من فصل واحد باللغة الدارجة، لأن العربية كاليونانية فيها الفصحى والعامية واقتبست للمقطوعات الغنائية ألحاناً شعبية، وعلمت الرواية لنحو من عشرة من فتيان أذكياء انتخبتهم من بين تلاميذى.. وارتدى أحدهم ملابس النساء ليقوم بدور «العاشقة».

هو.. والخديوى

يقول يعقوب فى مذكراته إنه حصل على تصريح من الخديوى إسماعيل شخصياً بتمثيل هذه المسرحيات على مسرح حديقة الأزبكية الموسيقى، ويصف ليلة الافتتاح بأنها كانت من ليالى القاهرة المشهودة، وقد شهدها جميع رجالات القصر والوزراء ورجال السلك السياسى من الأوروبيين، إلى جانب جمع غفير من الجمهور المصرى، وقد استُقبل بحفاوة كبيرة شجعته على النجاح فى تلك الليلة وطوال أربعة أشهر كاملة استطاع خلالها أن يقنع

فنانين بالتمثيل معه، وهما: ليزه وماتيلده بعد أن علمهما بنفسه القراءة والكتابة والتمثيل فى أقل من شهر وكان لظهورهما على المسرح رنة عظيمة واستقبلهما الجمهور بتصفيق شديد، وحياهما تحية حارة مما دعاهما إلى مواصلة التمثيل وحفظ أدوار أطول وأهم.

يواصل يعقوب صنوع الحديث عن تجربته فى تأسيس المسرح المصرى فيقول فى مذكراته:

وبعد أربعة أشهر من حياة هذا المسرح القومى دعانى الخديوى إسماعيل مع فرقتى للتمثيل على مسرحه الخاص بسراى «قصر النيل» ومثلت ثلاث روايات هى «البنت العصرية» و«غندور مصر» و«الضرتين» وكلها كوميديات اجتماعية شرقية ذات معنى أخلاقى، وبعد أن شهد الروايتين الأوليين استقدمنى الخديوى إليه، وقال لى أمام وزرائه وكبار رجال بلاطه إننا ندين لك بإنشاء مسرحنا القومى.. إن ما تقدمه من ألوان الكوميديا والأوبريت والتراجيديا يعرِّف شعبنا بالفن المسرحى، إنك أنت موليينا المصرى، وسيبقى اسمك ساطعاً فى تاريخ مسرحنا.

لكنه حينما رأى الرواية الثالثة «الضرتين» وهى رواية تعارض تعدد الزوجات؛ فقد كانت الضرتان امرأتى زوج واحد جعلتا منه شقياً بغيرتهما ومطالبهما.. وحينما سمع الخديوى مقطوعة الزوج الطويلة ضد تعدد الزوجات الذى هو مصدر الشقاق بل الجرائم فى العائلات؛ تحول مرحه إلى غضب واستدعانى متهكماً وقال لى: «انظر يا «موليير» إن لم تكن فى صلابة العود بحيث ترضى أكثر من زوجة فلا ينبغى أن تثير نفور الآخرين».

وعلى الرغم من أن مسرحية الضرتين مثلت تباعا ثلاثاً وخمسين ليلة؛ فإنه - تجنباً لغضب الخديوى عليه - أوقف تمثيلها أمامه لتقدم فى العام التالى ١٨٧١م ثلاث روايات جديدة على مسرح الكوميديا الفرنسية بالقاهرة، وصفق الجمهور لفرقتى؛ بل صفق الخديوى كذلك، ولكن كان فى قاعة المسرح بعض ذوى النفوذ من ألد أعداء التقدم والحضارة، فأقنعوا الخديوى بأن روايتى كانت تتضمن تلميحات ماكرة وإشارات خبيثة ضده وضد حكومته فأمر بإغلاق مسرحى مما أثار سخط الجمهور الشديد.

ولكن السبب المباشر لإغلاق مسرح يعقوب صنوع يرجع إلى تقديمه

مسرحية (الوطن والحرية) التى رأى فيها الخديوى إسماعيل تعريضاً به ومساساً بحاشيته وحكومته، فتوقف مسرح يعقوب صنوع بعد أن ضاق به الخديوى وهو الذى طالما أعجب به قبل ذلك حين كان يقدم مجرد مسرحيات ضاحكة ومسلية، ولكنه حين ضمن مسرحياته بعض النقد الاجتماعى والسياسى وبطريق التلميح أو الإسقاط فقد إعجاب الخديوى وتحمسه بل حظى بنقمته ورفضه فأمر بإغلاق مسرحه.

مسرحيات معاصرة

وقد ذكر يعقوب صنوع أنه قدم خلال موسم واحد ١٨٧٠/١٨٧١ حوالى ٣٢ مسرحية متنوعة بين الكوميديا والتراجيديا والأوبريت، وبين مؤلفة ومترجمة وممصرة، وقد قام صنوع بنفسه بتأليف معظم تلك المسرحيات أو ترجمتها ويتراوح طول المسرحية منها بين الفصل الواحد والفصلين، فضلا على بعض المقطوعات المسرحة أو الحوارية التى كان ينشرها فى الصحف التى أصدرها فى مصر أو باريس التى نفاه إليها الخديوى.

ومن مسرحياته الطريفة التى تنم عن وعى اجتماعى وانتماء وطنى مسرحية «البنت العصرية» التى يسخر فيها من انقياد البنات الأعمى وراء بعض العادات و«الموضة الأوروبية»، مما لا يتناسب مع عاداتنا وتقاليدنا العربية والشرقية، وقد تسبب هذا الخطأ الفاحش الذى ارتكبته الفتاة «صفصف» بطلة المسرحية فى انصراف الشبان عنها، فظلت دون زواج، ولكن الجمهور لم يرض بهذه النهاية فطلب من المؤلف أن يزوج «صفصف» بالشاب الذى تحبه.. وقد رضخ يعقوب صنوع وزوّج البطل من البطلة؛ لأن «الجمهور عايز كده» وهى العبارة التى مازالت تتردد فى الأوساط الفنية إلى اليوم لتبرير بعض المواقف غير المنطقية.

الصراع الطبقى

وفى مسرحية «الأميرة الإسكندرانية» نجد «التيمة» التى لعب عليها كثير من المسرحيات والأفلام المصرية بعد ذلك.. وهى مشكلة الحب بين فتاة غنية ورجل فقير تنتهى بالزواج بينهما.. وقد ترجم يعقوب صنوع هذه المسرحية إلى الإيطالية عام ١٨٧٥، وتحكى قصة سيدة مصرية تسمى «مريم» وهى

سيدة «متفرنجة» تقضى عطلاتها فى باريس، وتفرض على زوجها البسيط وخادمها وابنتها عديلة تحب كاتبا صغيرا اسمه يوسف ولا تستطيع الزواج منه خوفاً من والدتها، ولكن يوسف يتنكر فى زى شاب غنى يحمل عدة نياشين وحينما تتكشف الخدعة فى المشهد الأخير تثور ثائرة الأم ولكنها تخضع فى النهاية لأن «ما حدش منا اتولد ومعاه رتب.. الإنسان يحصل على أعلى الدرجات بسلوكه الحميد وأمانته واسمه الطيب لأن الأمير أمير بأخلاقه».

وهكذا يدخل يعقوب صنوع منطقة الصراع الطبقى مبكراً وهى المنطقة التى دخلتها معظم الأفلام والمسرحيات المصرية بعد ذلك، حتى أنها باتت تشكل أكثر ملامحها وضوحاً.. كما عالج يعقوب صنوع كثيرا من المشكلات الاجتماعية التى كان - ولا يزال - يعانى منها المجتمع المصرى حتى اليوم رغم مرور أكثر من مائة عام على تقديم صنوع لتلك المسرحيات مثل مشكلة تعدد الزوجات أو تقليد الغرب «والتفرنج» والتظاهر والنفاق والفقر .. إلخ.

وكانت آخر مسرحيات يعقوب صنوع مسرحية «موليير مصر» وما يقاسيه، قدمها عام ١٨٧١ ونشرها بعد ذلك بعام وهى من فصلين فقط.. وقد ألفها على غرار «ارتجالية فرساى» لموليير وهى تسجل مشكلات فرقته وتؤرخ لحياة التمثيل والممثلين فيها وتشرح الظروف القاسية التى تعرضت لها الفرقة والتى انتهت بإغلاق المسرح. ويدلى يعقوب صنوع من خلال مسرحيته ببعض آرائه فى التمثيل المسرحى فيقول: «إنما كل مؤسس تياترو ومنشىء روايات ملزوم يتمم جميع الواجبات واجبات معلومة عنده يا حبيب وهى أن القصد بالمراسح «المسارح» ويخاطبه أحد الممثلين آخذاً عليه توقفه عن الكتابة الوطنية: «بالله عليك ما بقتش تكتب لنا روايات تذكر فيها كلمات الحرية وحب الوطن والمحاريات وإلا قل على التياترو العربى يا رحمن يا رحيم.. والحدق يفهم بقى.. رجعنا للعبنا القديم»!

وفى مسرحية «زبيدة والوطن والحرية» تعرض يعقوب صنوع صراحة لنقد الخديوى إسماعيل ووصل إلى حد التجريح، مما أثار غضبة الخديوى عليه فقرر إغلاق مسرحه.. ونفيه إلى باريس.

ردود أفعال

وقد أحدث يعقوب صنوع بتأسيسه للمسرح العربي في مصر صحوة أدبية واجتماعية تابعها عدد من النقاد الأوروبيين.. فكتب محرر صحيفة «الساترداى ريفيو» في يوم ٢٦ يوليو ١٨٧٦ «ألم يحاول صنوع وحده أن يخلق مسرحاً عربياً، وإذا قلت «هو وحده» فإننى أقدر الدافع لأنه كثيراً ما كان يقوم في هذا المسرح بأعمال المؤلف والممثل والمدير والملقن وغير ذلك وعلينا ألا نسخر من هذا المسرح، لأن مسرحياته ذات الشخصية الواحدة كانت تحتوى على سيل من الملاحظات والانتقادات وسلسلة متصلة من الضحك، فضلا على دموع إنسانية مرة جعلت الناس يحرصون على مشاهدتها، فكان الفلاحون يهرعون إليها، وكان الباشوات يترددون عليها على سبيل التسلية المقرونة بالاستغراب، وأخيراً شاهدها الخديوى إسماعيل نفسه فسر بها أيما سرور.. ومما هو جدير بالإعجاب حقاً تقمصه شخصية الفلاح المصرى أثناء اندماجه في تمثيل دوره فيحلو عندئذ سماع ملاحظاته اللاذعة وضحكاته البريئة إلى جانب عبراته الصامتة وهي تتساقط على خديه الضامرين، وقد كان باستطاعة هذا الرجل أن يجمع في شخصيته شعباً بأسره».

ويقول محرر صحيفة «ليجيت» الفرنسية: «إنه على الرغم سذاجة أساليبه الفنية فإنه كان كافياً لاجتذاب الجمهور؛ مما يدعو إلى التفاؤل لأنه يتقدم ويتطور».

أما محرر جريدة الأزيكية «جول باسبييه» فإنه يكتب عام ١٨٧٣ قائلا: «أيجب علينا أن نتذكر أن الشيخ أبا نظارة (لقب يعقوب صنوع) قد قدم في موسمين اثنين مائة وستين حفلا تمثيليا ومثل اثنتين وثلاثين مسرحية كتبها بنفسه كان من بينها الهزلية والمسرحيات ذات الفصل الواحد والمسرحية العصرية ذات الفصول الخمسة.. أيجب علينا أن نقول إن الحماس قد بلغ بالجمهور في المرة الأولى أن اختلط عليه الأمر بالنسبة للتمثيل، وأنهم أخذوا يعبرون عن مشاعرهم بصوت عال وساذج كسذاجة الأطفال؟ إن ارتياد موليير لهذا الفن قد لقى مقلدين كثيرين».

عقبات .. وعقوبات

ويقول محمد كمال الدين في كتابه «رواد المسرح المصرى» إن يعقوب صنوع

نجح فى إيصال ما أراد إلى الجمهور رغم أن المناخ الاجتماعى فى ذلك الوقت لم يكن يشجع على ذلك، لأن الناس كانت تعتقد أن المسرح يصرفهم عن العمل الصالح ويحرض على الفسق بما يجرى على خشبته من مشاهد العشق والغرام والخيانة، وأنه يلهى الناس عن القيام بواجبات دينهم، كما كان الجمهور ساذجاً فى تقبله للمسرحيات.. أحياناً كان يتجاوب مع الممثلين ويتدخل فى الحوار. وأحيانا يفرض على المؤلف تعديل النص لجهلهم بالدراما ومقتضيات العروض المسرحية. أما المسرحيات نفسها فكان بعضها ساذج الفكرة، ضعيف البناء، كثير الحوار، وكانت المنولوجات الفردية تستغرق أحياناً وقتاً طويلا، وكانت الأحداث تجرى بلا مبرر ولا منطق فى بعض الأحيان، وكانت الأغانى المفروضة على جميع المسرحيات دون مقتضى أو لمجرد التعليق على الموضوع أو تلخيصه، وكانت نهايات بعض المسرحيات تتسم بالسرعة والارتجال، لكن هذه العيوب جميعها لا تغض بحال من مقدرة صنوع وشجاعته فى خلق أول مسرح مصرى صميم.. ولعل نجاحه فى دراسة بعض المشكلات الاجتماعية السائدة فى وقته وتوفيقه فى رسمها بوضوح وتجاوب الجمهور معه بل لعل وصوله إلى هذه المكانة الفنية بتمثيله على أكبر المسارح وحضور علية القوم عروضه المسرحية لعل ذلك كله أن يكون دليل نجاحه فى إقامة المسرح المصرى ليصبح مع مرور الأيام أحد معالم النهضة الفنية وقيامها على أسس سليمة وصلبة. لم يكن يعقوب صنوع مجرد أديب أو فنان بل كان سياسياً وصحفياً وبعد إغلاق مسرحه أنشأ جمعيتين أدبيتين هما «محفل التقدم» و«محفل محبى العلم» وكانتا نواة للحزب الوطنى القديم الذى قام أعضاؤه بالثورة العرابية، وهى أول ثورة فى تاريخ مصر الحديث.. وعن طريق هاتين الجمعيتين واصل يعقوب صنوع رسالته فى بعث الوعى الوطنى وترسيخ مبادئ الحرية والعدل.. ولكن الخديوى رأى فى ذلك عداء له؛ فناصبه عداء بعداء وحاول التخلص منه بالقتل مرتين، واضطر أخيراً إلى نفيه إلى باريس وهو المكان نفسه الذى نفى إليه الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى بسبب المبادئ نفسها التى كان يدعو إليها يعقوب صنوع، فقد كان صنوع واحداً من تلاميذ الأفغانى ومن أشد المخلصين له.

وفى باريس واصل يعقوب صنوع كفاحه ضد الخديوى فأصدر عدداً من

المجلات والصحف العربية منها أبونظارة وأبوصفارة وأبوزمارة والحاوى والعالم الإسلامى وظل يصدرها طوال ٣٢ عاماً أمضاها فى المنفى، حصل خلالها على عدد الأوسمة والنياشين من ملوك ورؤساء بلجيكا وأسبانيا وفرنسا وتونس وتركيا، وكان ينشر فى تلك الصحف مؤلفاته الحوارية أو المسرحية التى يهاجم فيها الخديوى، وأتباعه من المفسدين والخونة.

وظل يعقوب صنوع يوالى نشاطه فى التأليف والصحافة حتى أصيب بالمرض وضعف بصره، فتوفى عام ١٩١٢ فى باريس، بعد أن أرسى قواعد المسرح العربى فى مصر والكاريكاتير السياسى والصحافة المعارضة والنقد الاجتماعى.. وقد بدأ يعقوب صنوع ذلك كله وكان رائداً فيه.

3



كاميليا

● جاسوسة يهودية لصالح إسرائيل!

● فاروق يهرب بها من المخابرات المصرية!

● أشهر نجمة مصرية.. ابنة سفاح!

● الملك يستنزف أموال اليهود.. بلعب القمار!

● تركها الملك .. فأقدمت على الانتحار !

من بين كل الممثلات المصريات.. لم يكن هناك من هى أكثر منها إثارة للجدل فى الأوساط الفنية والسياسية على السواء.

إنها الممثلة «ليليان ليفى كوهين» التى اشتهرت باسم «كاميليا» والتى احتار حولها مؤرخو الفن، فمن قال إنها مسيحية، ومن قال إنها يهودية، ومن قال إنها بريطانية، ومن قال إنها مصرية، ومن قال إنها جاسوسة وعميلة «للموساد» أو المخابرات الإسرائيلية ومن قال إنها غير هذا وذاك.

يؤكد الناقد الفنى حسن إمام عمر أن أمها مسيحية من أصل إيطالى، كانت تمتلك «بنسيوناً» بالإسكندرية، وعشقها تاجر أقطان مسيحى إيطالى، فحملت منه سفاحا، قبل أن يهرب من الإسكندرية عائداً إلى إيطاليا بسبب خسارته فى البورصة.. وحينما وضعت أمها نسبتها إلى صديق لها كان يقيم بالبنسيون الذى تمتلكه، وكان يهودياً مصرياً فأصبح اسمها «ليليان ليفى كوهين»، وهو اسم صديق والدتها المسيحية؛ ولكن مصطفى أمين يؤكد أنها يهودية الأصل والمنشأ.

ومن بين كل مغامراته العاطفية التى اشتهر بها فاروق، كانت علاقته بالممثلة اليهودية «كاميليا» هى الأكثر إثارة للجدل فى جميع الأوساط المحلية والعالمية.

ففى بداية عام ١٩٤٧ فقد فاروق ذلك الرجل الذى كان يجد لديه القدرة على حمايته من الآثار الجانبية لحماقاته، وهو «أحمد حسنين ـ باشا» الذى لم يكن بالنسبة للملك الشاب فاروق مجرد ياور أو مستشار، بل كان الأب والأستاذ.

موعد مع القدر

وبعد أن فقد فاروق السند الوحيد الذى كان يوفر له ستاراً من الحماية بما يمتاز به من رجاحة وحصافة، انفلت عيار الملك الشاب حين لم يجد من يكبح

جماحه، أو يعيده إلى جادة الصواب.. وفى هذا الجو الذى يطفح بالاستهتار والعبث كان طبيعيا أن يلتقى فاروق وممثلة يهودية دون أن يمثل ذلك بالنسبة له أى ضوء أحمر، يوقف نزواته الجامحة أمام لحظة من التفكير والحذر.

بدأت «ليليان كوهين» حياتها فى أحد أحياء الإسكندرية الفقيرة وكانت الإسكندرية فى ذلك الوقت مدينة تعج بالأجانب من كل لون وملة، وفى صيف ١٩٤٦ شاهدها بطريق الصدفة منتج سينمائى مصرى فى أحد المقاهى، فعرض عليها العمل فى السينما وفى الأفلام التى يقوم هو بتمويلها، وكان شرطه الوحيد أن تكون «خليلته».

لم يكن هذا شرطاً معجزاً لمن تعانى الفقر لدرجة العدم، بل لعله كان مغرياً لفتاة مثلها اعتادت على مرافقة الرجال بمقابل يقل كثيراً عما يعرضه عليها هذا المنتج السينمائى الشهير.

كان طبيعياً أن يغير الرجل اسمها، قبل أن يغير حياتها؛ فاسمها الحقيقى «ليليان كوهين» يحمل صبغة يهودية واضحة، ولم يكن أى فرد فى مصر مستعداً لدفع ثمن تذكرة ليشاهد ممثلة يهودية، فى وقت كانت فيه مشكلة فلسطين تدق الأبواب بشدة، وبلغت كراهية المصريين لليهود أوجها.

كانت كاميليا على موعد مع القدر للمرة الثانية فى حياتها خلال فترة وجيزة، فقد اصطحبها «خليلها» المنتج السينمائى الشهير إلى سهرة فى أوبرج الأهرام، حيث كان الملك فاروق يمضى معظم سهراته الحمراء، ويبدو أن صديقها قد تعمد ذلك، إذ حجز منضدة قريبة من المنضدة التى اعتاد فاروق الجلوس عليها، ليجعلها قريبة منه على نحو لافت للنظر.

ولكن «فاروق» الذى كان خبيرا فى هذه المسائل تظاهر بتجاهل هذه الفتاة الجميلة ذات الشعر الأسود التى كان يبدو أنها تضع نفسها فى طريقه، وحين رأى المنتج أن خطته قد باءت بالفشل غادر المكان آسفاً على المبلغ الكبير الذى دفعه ليجعل فتاته قريبة من عيون الملك.

أمر ملكى

ولكن الملك أمر «كريم ثابت» مستشاره اللبنانى بتعقب الفتاة وصديقها حتى منزلها، وأن ينتظر حتى يتمكن من التحدث معها على انفراد بعد أن يكون

صاحبها قد غادر المكان، وعند ذلك، طرح كريم ثابت سؤاله للفتاة دون مقدمات، هل تحب أن يقدمها للملك فاروق فى قصر عابدين؟

لم تصدق «كاميليا» ما سمعته من كريم ثابت، فلم تكن ـ رغم محاولاتها ـ قد لاحظت أن فاروق يعيرها اهتماما، أو أنه رمقها حتى بمجرد نظرة، ولكن كريم ثابت أكد لها أنه تعقبها حتى المنزل «بأمر ملكى».

كانت «ليليان» أو «كاميليا» قد بلغت السادسة عشرة من عمرها منذ أيام فقط، ولم تكن فى أحلام يقظتها أو نومها قد رأت فاروق يمنحها نظرة من عينيه الشهيرتين بالرغبة والنداء، ولكنها الآن عرفت أن فاروق يطلبها ويسعى للقائها.. وفى قصر عابدين.

فى إحدى غرف القصر كان لقاؤهما الأول، ولم تكن تدرى أن فاروق قد افتتن بها، قبل أن يصرح لها هو بذلك.. شخصيا.

غنت «كاميليا» ورقصت وبكت وضحكت فى وقت واحد.

ولأنها فتاة ولأنها يهودية فقد عرفت ـ رغم حداثة سنها ـ كيف تحكم قبضتها على فريستها الكبيرة، حيث تظاهرت أمامه بأنها تجهل أمور الحب والمجون، وأنه هو الذى يعلمها ذلك فأرضت غروره وأشعرته برجولته التى كان يفتقدها فى الواقع.

يقول «هيوج ماكليف» فى كتابه «الملف السرى للملك فاروق» إن «كاميليا» كانت إحدى النساء القليلات اللائى أمكنهن ـ ولو مؤقتا ـ إزالة إحساس الملك بعجزه؛ الأمر الذى مكنه هو من التغلب – لفترة – على هذا العجز، وتطورت بين الفتاة اليهودية المتشردة، وبين ملك مصر علاقة غير عادية، فتعلق بها كما لم يتعلق بأية امرأة من قبل، كان فاروق يبدو أمام «كاميليا» كمن اكتشف شيئا غريبا وغامضا، لم يلحظه ـ رغم خبرته الكبيرة ـ فى أخرى، وحين صرح لها بذلك شجعها على التمادى فى إغرائه بكلام معسول، كانت قد رددته قبل ذلك عشرات المرات، ولكنها لم تنس أن توحى له بأنها المرة الأولى، وهو الرجل الأول الذى يسمع.

نزهة خلوية

كان فاروق يود لو أن علاقته بكاميليا كانت تسير على نحو أفضل، وهو ما لم يكن متوفرا فى مصر، حيث كانت العيون ترقبه من كل صوب وحدب،

فعرض عليها السفر إلى الخارج فى صحبته، ولكنها اختارت قبرص حيث كانت عائلتها تقيم قبل أن تحضر إلى مصر.

كانت مفاوضات الجلاء بين مصر وانجلترا قد بلغت فى مسارها نقطة الحرج، وكان من المفروض أن يكون ملك البلاد وحاكمها أول المهتمين بهذه المسألة الحيوية، ولكن كان لدى فاروق ما هو أهم بالنسبة له من هذه القضية الهامشية فى حياته، فقد قرر السفر إلى قبرص للترويح عن نفسه من عناء الحكم ومسئولياته الجسام!!

وإمعانا فى السرية التى كان يتوخاها لرحلته الخاصة لم يصحب كاميليا معه فى اليخت الملكى «فخر البحار» الذى أعد له ليسافر به إلى قبرص، فقد سبقته هى بالطائرة لتقيم بأحد الفنادق انتظارا لقدومه.

كان فاروق يمنى نفسه بقضاء وقت ممتع مع عشيقته الصغيرة بعيدا عن عيون الجميع الذين كانوا يرصدونه فى مصر، ولكنه كان مبالغا فى تمنياته، فما كاد اليخت الملكى يرسو فى الميناء القبرصى حتى أثار انتباه الجميع وأولهم حاكم الجزيرة الإنجليزى، وقائد البحرية البريطانية فذهب كل منهما على حدة ليدعوه على العشاء.

فكر فاروق فى طريقة يخرج بها من هذا المأزق، حتى لا يفطن أحد لهدفه الحقيقى من الرحلة، وبعد حفل العشاء بأحد فنادق «نيقوسيا» قدمها إليه أعوانه على أنها كانت موجودة بالفندق بطريق الصدفة.. وتحدث معها فاروق عن السينما المصرية، وكأنها المرة الأولى التى يلتقى فيها الاثنان، فكانت تمثيلية «سخيفة» فى نظر العالمين بالأمر، ولكنها لم تخل من طرافة فى نظر الجاهلين به.

انكشف الأمر

بعد أن انفض السامر، خرج فاروق مع معشوقته الصغيرة إلى الجبال المحيطة ووعدها بشراء منزل لها فى هذه الجزيرة الجميلة ليتمكن من لقائها فيه مرة كل فترة.

لم يفلح فاروق - كعادته - فى إخفاء الأمر، فقد اكتشفت وكالات الأنباء العالمية حقيقة العلاقة بين الملك المصرى والممثلة اليهودية، وتمكنت إحداها

من التقاط الصور لهما فى أوضاع غرامية، والتقطت صحافة القاهرة الخيط فنشرت القصة بكاملها فى أماكن بارزة من صدر صفحاتها الأولى، وقرأت زوجته الملكة «فريدة» القصة فلم تندهش؛ لأنها كانت قد تعودت على ذلك من زوجها، ولكن الذى أثار حفيظتها أن فتاته الجديدة هذه المرة كانت يهودية.

وفى قبرص وصلت برقية من مصر تقول لملكها إن علاقته بالممثلة اليهودية «كاميليا» قد أثارت شائعات كثيرة، وسخطاً أكثر وفى البرقية التالية جاءت الأنباء عن حدوث أزمة وزارية حادة عليه أن يواجهها بنفسه.

عاد فاروق إلى مصر ليصاب بحالة من الفزع والغضب، حين رأى بعينيه آثار علاقته «بكاميليا»، وحين نظر حوله باحثاً عمن سرب أخبار مغامرته الجديدة إلى زوجته والرأى العام فلم يجد أمامه غير «كاميليا» نفسها.. فهى تريد الدعاية لنفسها لتصبح أكثر شهرة من ذى قبل، وتريد أيضا أن يصل الخبر إلى زوجته فريدة فتطلب الطلاق، ثم يخلو لها الجو للانفراد بفاروق وحدها، وهى تريد أن يعلم الجميع بأمر علاقتها مع الملك؛ لترفع نفسها إلى القمة فى نظر معارفها والمقربين منها، الذين كانوا ينظرون إليها دائماً كفتاة يهودية متشردة وفقيرة.

وحين صارحها فاروق بشكوكه تجاهها، انخرطت «كاميليا» فى موجة من البكاء الهستيرى، وأنكرت أنها السبب فى معرفة الجميع بأمر علاقتهما، وأكدت له أن أمها نفسها لم تعرف منها هذا الأمر، وأنها أكثر الناس حرصاً على استمرار تلك العلاقة، وبالتالى كانت أكثرهم حرصاً على سريتها؛ حتى لا يحدث ما يعكر صفوها أو يهدد بقطعها.

لم يصدق فاروق أياً من الحجج التى ساقتها ولم يرق قلبه لبكائها المر.. وأصر على الانفصال عنها وقطع أية صلة بها بعد اليوم وكانت آخر عباراته لها:

«لقد أردت أن أرفعك إلى المستوى الملكى، ولكنك أثبت أنك لا تصلحين لذلك».

وقبل أن يغادرها فاروق إلى الأبد سمعها تقول له:

- إذا تركتنى فسوف أنتحر.

توقف فاروق برهة، وكانت من المرات القليلة التى توقف فيها ليفكر، فلو أنها أقدمت على الانتحار فعلاً، لتسببت فى فضيحة كبيرة، أكبر من كل الفضائح التى صنعها.

عاد فاروق ليسترضيها، فقال لها إنه سيتركها فقط لبعض الوقت ريثما تنتهى الضجة التى أثارتها أخبار العلاقة بينهما، وأنه سوف يلتقى بها كلما سنحت له الفرصة لعمل ذلك وأنه سيقوم أيضاً بإغداق الأموال عليها لتتمكن من شراء ما تحتاجه من فساتين وأحذية ومصوغات، وأنه لا يزال عند، وعده لها بشراء بيت لها فى جزيرة قبرص أو رودس.

بدأت كاميليا تهدأ شيئاً فشيئاً ولم يتركها فاروق إلا بعد أن اطمأنت له.. وبمرور الوقت أيقنت كاميليا أن فاروق قد ضاع منها إلى الأبد.. ومما زاد من أحزانها أن أحداً من المنتجين أو المشتغلين بالسينما لم يعد يقترب منها خوفاً من غضب الملك وأعوانه.

عاشت كاميليا أسوأ أيام حياتها فقد اعتادت حياة الشهرة والمجد، ولم يعد لديها طاقة على حياة البؤس من جديد، وفكرت فعلاً فى الانتحار، بعد أن عادت إلى شقتها القديمة بجدرانها الرطبة وطعم الفول والطعمية.

وذات ليلة لاذت من ألم الجوع بسريرها، ودق جرس الهاتف بجوارها ليوقظها من نوم كان عصياً على المجىء، وكانت المفاجأة أكثر من أن تتحملها أعصابها المتعبة حين سمعت صوتاً يقول لها:

- أنا فاروق.

- فاروق مين؟

- أنا الملك.. هل نسيت صوتى..؟

انتفضت كاميليا واقفة، ولكنها أحكمت قبضتها على سماعة الهاتف وتشبثت بها مثل الغريق الذى يتشبث بقشة، فهو الأمل الذى كان قد تخلى عنها طوال الأيام الماضية.

سكتت كاميليا ولم تجد ما ترد به، وجاءها صوته عبر الهاتف ليدعوها للمجىء إلى القصر، وأخبرها أن إحدى سياراته فى طريقها الآن إلى المنزل لتحملها إليه وطلب منها ألا تتأخر فهو فى غاية الشوق لرؤيتها.

كان فاروق يرتدى عباءة عربية حمراء، وكانت آثار طعام العشاء على المنضدة حين دخلت عليه كاميليا شاحبة الوجه، وحين نظر إليها أدرك منذ الوهلة الأولى مدى الدمار الذى لحق بها منذ تركها آخر مرة.

أخذ يعيد عليها كلامه المعسول الذى كان قد قاله لها قبل ذلك، وكانت هى تتردد بنظرها بين وجهه والمنضدة التى تحمل بقايا طعامه، وحين استأذنها ليدخل الغرفة المجاورة، عاد إليها ليجدها تلتهم بقايا الطعام التهاماً.

كانت من المرات القليلة التى شعر فيها فاروق بالشفقة وهو ينظر إليها فى هذه الصورة البائسة، قال لها:

- لماذا لم تخبرينى أنك لم تتناولى عشاءك حتى الآن؟

توقفت كاميليا عن تناول الطعام وأخذت تقص عليه قصتها بعد أن تركها للبؤس والضياع، وكيف عاشت طوال تلك الفترة بلا عمل ولا مال، فمد فاروق يده وأعطاها مائة جنيه كانت معه.

شرخ فى العلاقة

عادت العلاقة بينهما من جديد، ولكن كاميليا لم تعد كما كانت، فقد أدركت ما لم تكن قد فكرت فيه، وهو أن علاقتها بالملك مهما طالت فلن تدوم إلى الأبد، وأنها سوف يأتى عليها يوم تنقطع فيه. ولذا فإنها يجب ألا تعتمد عليه كثيراً، وأن تعيش الواقع معه بلا أحلام ولا أمنيات.

فكرت كاميليا فى أن تستقر بحياتها فقبلت الخطوبة لأحد المصورين الذى طلب الارتباط بها وهو يعلم أن علاقتها بفاروق لم تنته تماماً.

وحين علم فاروق بالأمر جن جنونه، ولكن كاميليا رفضت أن ترد على تليفوناته وعزمت على الابتعاد عنه وأن تبدأ حياتها من جديد حتى لا تعود إلى التشرد والصعلكة.

وحين رضخت لإلحاحه وذهبت لمقابلته عاتبها فاروق على هروبها منه، وطلب منها أن تفسخ خطوبتها وأن تبقى صديقة له وسألها: أليس من الأفضل لك أن تظلى صديقة للملك على أن تكونى زوجة لرجل تافه..؟!

فقالت كاميليا: من الأفضل أن أكون زوجة لرجل تافه على أن أظل مهددة بالتشرد.

هى والحرب

ومع ذلك ظلت العلاقة بين كاميليا وفاروق تتردد بين القوة والفتور حتى جاءت الحرب واستعرض فاروق بنفسه القوات المصرية المسافرة إلى الميدان، وحين عاد من هناك وجد كاميليا فى انتظاره لتخبره أن السلطات المصرية تسعى للقبض عليها بتهمة التعاون مع العدو، فما كان من فاروق إلا أن طرد أحد وزرائه من «الشاليه» الذى يملكه على الساحل بالإسكندرية، ليضع كاميليا فيه بعيداً عن أيدى السلطات التى تجدُّ فى طلبها. وبين الفترة والأخرى كان فاروق يذهب إليها بنفسه فى مخبئها ليمضى بعض الوقت معها.. بينما كان القتال على أشده فى ميدان المعركة بين العرب واليهود على أرض فلسطين.

كانت الصحف المصرية فى ذلك الوقت قد اعتادت نشر صور الملك فاروق وهو بزيه العسكرى بصفته القائد الأعلى للجيش، بينما كانت أنباء الهزائم العربية تتوالى إلى القاهرة، مما أثار حفيظة المواطنين فتظاهروا ضده، وهو خارج من دار سينما «ريفولى» وحين توجه إليه محمود فهمى النقراشى ليقول له: إن الناس يتحدثون عن علاقتك بالممثلة كاميليا اليهودية ويقولون إنها جاسوسة لليهود.

قال فاروق رداً على رئيس وزرائه: هذا كذب وهراء.. لقد كانت لى علاقة فعلاً بالممثلة كاميليا، ولكنى قطعتها قبل الحرب ولم تعد لى بها علاقة الآن.

وأضاف فاروق: إن حياتى من شئونى الخاصة.

فقال النقراشى: إن حياتك كملك ليست من شئونك الخاصة، ثم إن اليهود أعداؤنا والشعب يعلم أنك تقامر مع اليهود فى نادى السيارات الملكى، والناس يتساءلون كيف يمكن للملك أن يلعب القمار مع أعداء البلاد..؟!

لم يجد فاروق ما يرد به غير أن قال: إننى ألعب لأحصل على أموالهم، إنهم يخسرون أمامى، وأنا أفوز عليهم وبهذه الطريقة أجمع أموالهم بدلاً من أن يذهبوا بها تبرعاً لليهود..!!

ضحك النقراشى ساخراً وهو يترك الملك الذى لم تعد تفيد معه النصائح.. وحين رأى فاروق أن مسئوليته فى حكم البلاد أصبحت تتعارض مع نزواته

الخاصة، وحياته الشخصية التى كان يفضلها على أى شىء آخر، أعطى الانطباع لأعوانه ومحيطيه بأنه زاهد فى الحكم وصرح أمام أصدقائه غير مرة بأنه سوف يتنازل عن العرش الذى أصبح يحول بينه وبين الحياة التى يريدها، فتكدست الأوراق على مكتبه، وأصبح يقضى معظم وقته فى نادى السيارات والملاهى الليلية.

الطائرة المنكوبة

وفى نهاية صيف ١٩٥٠ وبعد انتهاء الحرب العربية ـ الإسرائيلية، قرر فاروق القيام برحلة ترفيهية مع كاميليا إلى ديوفيل بفرنسا.

كان من المقرر أن تسافر كاميليا إلى سويسرا بالطائرة ثم تستقل سيارة خاصة إلى ديوفيل لتقابل الملك هناك، وكان فاروق يتطلع بشغف للقاء كاميليا بعد أن انقشعت الحرب بما أثارته من غبار فى حياتهما.

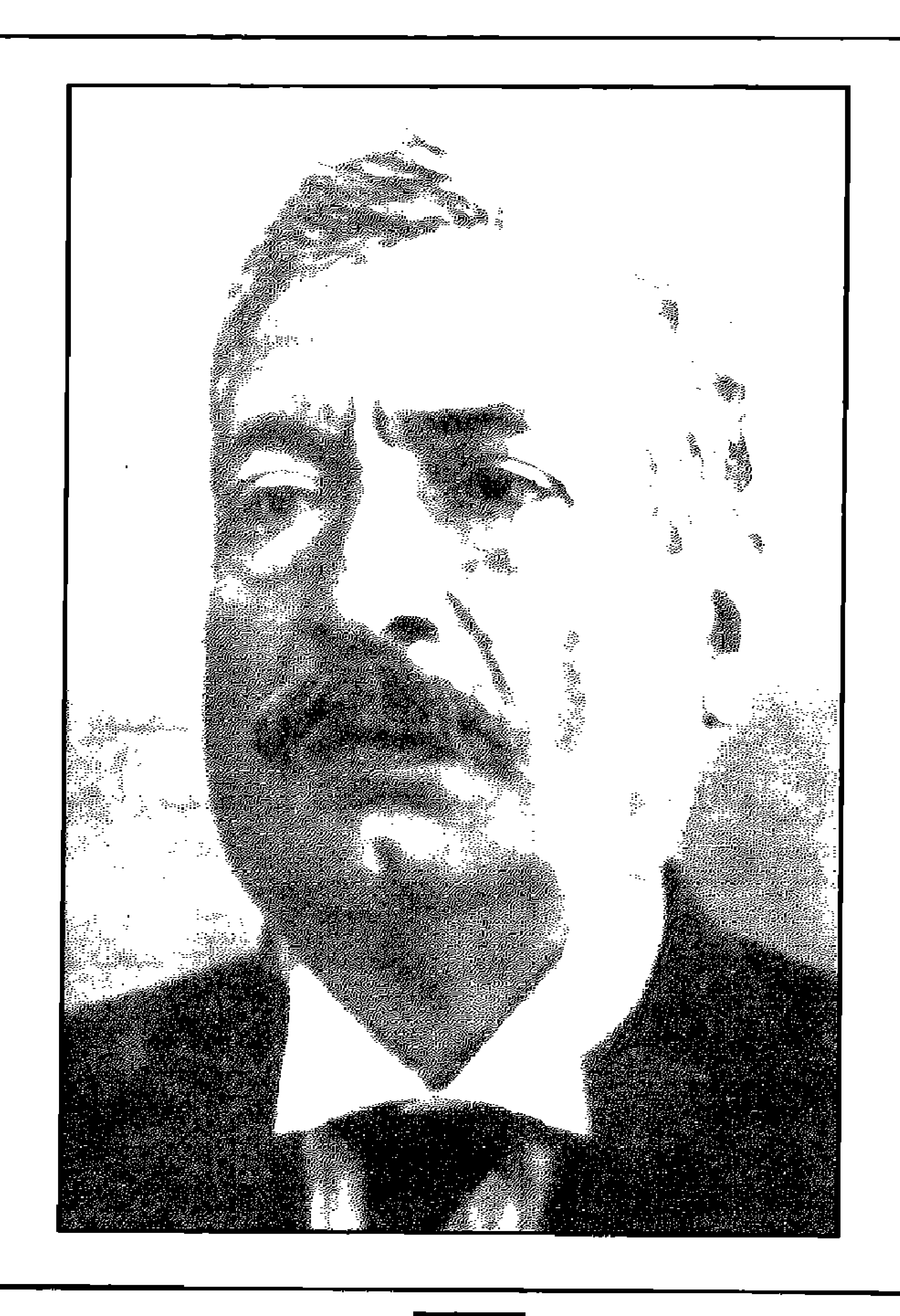
كان فاروق قد أرسل أحد سكرتيريه إلى جنيف ليكون فى استقبالها قبل أن يصحبها إلى فرنسا، وفى اليوم المحدد لوصولها اتصل به السكرتير تليفونياً ليخبره أن الطائرة التى كانت تستقلها كاميليا قد سقطت بالقرب من القاهرة، وأن كاميليا قد ماتت محترقة فيها.

لم يصدق فاروق الخبر، فاتصل بالقاهرة بنفسه ليخبروه أن طائرة من طراز «كونشلاشى» قد تحطمت بعد نصف الساعة من إقلاعها فى صحراء مصر الغربية وأن كاميليا كانت من بين الركاب البالغ عددهم خمسة وخمسين راكباً، وحين وصلت الصحف المصرية إلى فرنسا قرأ الملك تفصيلات الحادث، وعرف أن كاميليا ماتت محترقة وأن جواهرها وحليها قد تناثرت من حولها على رمال الصحراء.

كاد فاروق يصاب بالجنون بعد أن علم بالحادث. وبعد مرور الوقت قال فاروق لأصدقائه ـ كاميليا كانت تجلب له الحظ، وأنه بوفاتها لم يعد محظوظاً، وأصبح رحيلها نذير شؤم بالنسبة له، وأنه يتوقع أن ينتهى بين لحظة وأخرى.

وكان فاروق محقاً فى هذا الإحساس بالذات فبعد شهور قليلة من وفاة كاميليا كان «الملك السابق» أو «المخلوع» هو اللقب الذى يسبق اسم فاروق.

4



داود حسنى

- غير اسمه العبرى.. هروباً من والده وديانته!
- الإسرائيلى الذى تتلمذ على يد شيوخ المسلمين!
- متهم بسرقة ألحان أستاذه محمد عثمان!
- ابنه يعمل فى إذاعة إسرائيل الآن!

كان والده يرى فى تعليم ابنه أملاً فى الخروج من حالة الفقر التى كانت تعانى منها الأسرة؛ ولهذا أصر أن يكمل تعليمه مهما كلفه الأمر. ولكن دافيد الصغير لم يكن له ولع بالدراسة والحفظ، فقد كان ولعه بالموسيقى والغناء، فماذا يفعل هذا الصغير أمام إصرار والده العنيد؟

قرر دافيد أن يهرب إلى مدينة المنصورة حيث لايعرفه أحد هناك، فيعيده إلى والده قبل أن يصبح نجماً مشهوراً فى عالم الغناء والطرب كما كان قد قرر لنفسه.

وفى المنصورة التقى دافيد بالحاج محمود شعبان الذى كان عبده الحامولى أشهر مطربى عصره قد تتلمذ على يديه، وقرر دافيد أن يعيد سيرة الحامولى مع محمد شعبان فتلقى منه أصول الموسيقى، كما تعلم العزف على العود وأنواع الأوزان والقواعد الموسيقية.

وحينما شعر دافيد ـ وهو النطق العبرى لاسم داود ـ بأنه أصبح راسخ القدمين، بعد أن تلقى ما يكفيه من علوم الموسيقى والغناء قرر العودة إلى القاهرة ليبدأ حياته العملية.

وفى القاهرة بدأ داود حسنى ـ وهذا هو اسمه الجديد الذى اختاره لنفسه قبل عودته من المنصورة ـ حياته مغنياً بتقليد مشاهير الغناء فى عصره، ولم يكن هناك من هو أشهر من عبده الحامولى ومحمد عثمان والشيخ عبدالرحيم المسلوب.

كان محمد عثمان، وعبده الحامولى من نوابغ الموسيقى والغناء فى مصر، وقد بلغ اهتمام الحامولى بالموسيقى أن سافر إلى الأستانة فى تركيا ليستمع إلى الموسيقى التركية الغنية بألحانها، ويقتبس منها ما يلائم الروح المصرية،

وعلى الرغم من ذلك فإن النقاد يشهدون للحامولى ومحمد عثمان أنهما أول من حاولا تخليص الموسيقى العربية من سطوة التتريك، أو تأثرها الواضح بالروح التركية.

أما الشيخ المسلوب الذى تتلمذ على يديه داود حسنى وبدأ حياته بتقليده فى الأداء التطريبى فكان شيخاً معمماً يعتبره النقاد واحداً من أساطين الغناء العربى وبخاصة فى القصائد والتواشيح.

يقول المستشرق «إدوار وليام لين» فى كتابه «عادات وتقاليد المصريين المعاصرين» واصفاً حال الموسيقى والغناء فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر حين كان يعيش داود حسنى «إن بين الأنغام المصرية والأنغام الأندلسية شبهاً عظيماً، وقد يكون مرجعه إلى ازدهار فن الموسيقى والغناء فى الأندلس يوم أن كانت تتفيأ ظل العرب والريف.. ويسمى محترفو الموسيقى فى مصر بـ«الآلاتية» ومفردها «آلاتى» ومعناها الذى يلعب على إحدى الآلات الموسيقية وهم يؤجرون لإحياء ليالى الأنس والطرب وتقدم إليهم كئوس الخمر، فيسرفون فى تناولها حتى أن أحدهم قد يعجز عن تحريك يده أو لسانه.

ويستطرد «لين» فيقول وأجر «الآلاتى» لا يزيد على عشرين قرشاً فى الليلة الواحدة ولكنهم يحصلون على نقود أخرى كثيرة من «النقطة» التى ينفحهم بها الحاضرون.

وللعوالم شأن يفوق ما للآلاتية من شأن، ومفرد عوالم «عالمة» ومعناها المرأة المثقفة، وأكبر الظن ان كلمة «عالمة» مشتقة من الكلمة الفينيقية أو العبرية «عالمة» وهى تدل فى اللغتين على معنى «بنت» أو عذراء أو فتاة مغنية.

عالم العوالم!

هذا هو عالم العوالم والموسيقى والغناء الذى عاشه داود حسنى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فجاءت أغانيه وموسيقاه من وحى هذا الجو الذى يطفح بالطرب ويشع بالسلطنة.

والذى ينظر الى أشهر أغنيات داود حسنى التى لحنها لكبار المطربات فى عصره والتى خلدها لنا الزمن سيرى فيها تأثره الواضح بعالم العوالم، ومنها

على سبيل المثال «قمر له ليالى» و«عصفورى يا أمه» و«صيد العصارى» و«على خده ياناس ميت ورده» وغيرها من الطقاطيق والأدوار التى مازالت تشجى سامعيها حتى اليوم وتصيبهم بحالة نادرة من الطرب و«السلطنة».

وقد استوحى داود حسنى من البيئة الشعبية ـ حيث كان يقيم فى شارع محمد على وهو أشهر شوارع القاهرة التى ارتبطت بالموسيقى والغناء ـ ألحانه الخالدة فجاءت تحمل رائحة الحارة المصرية وعلاقاتها الاجتماعية المتشابكة.

ولم يقف داود حسنى عند استلهامه لروح الحارة المصرية فى موسيقاه. بل استلهم التاريخ المصرى فى عدد من المسرحيات والأوبريتات مثل «ليلة كليوباترا» التى صاغها شعراً الكاتب الموسيقى الدكتور حسين فوزى فكان من أوائل الذين وضعوا أسس الموسيقى التعبيرية التى تعبر عن الموقف أكثر من تعبيرها عن الكلمة. وجاء بعده سيد درويش ليلتقط الخيط من داود حسنى ويسير به مرتقياً سلم التعبيرية حتى وصل فيه إلى منتهاه.

قيمة فنية

ويسجل تاريخ الموسيقى العربية لداود حسنى انه أول من قام بتلحين أوبرا مصرية هى «شمشون ودليلة» بعد أن كانت الأوبرا فناً إيطاليا أو غربياً خالصاً، ولكن داود حسنى فى أوبراه الخالدة استطاع أن يثبت أن الموسيقى العربية قادرة على التعبير بأشكال متباينة ومختلفة فيغير شكلها التقليدى الذى يرتبط بالتطريب.

وحين تأكد داود حسنى من إقبال الجماهير على هذا الفن الراقى، استمر بخطواته الثابتة سائراً على الدرب فقام بتلحين أكثر من ثلاثين «أوبريت» لكبار المطربين فى عصره، مؤكداً انه يمكن تطويع الموسيقى العربية للأداء المسرحى مثلها مثل الموسيقى الغربية.

ورغم ما تتميز به تلك الألحان من أصالة إلا أن هناك من يتهم داود حسنى بالسرقة من أعمال أستاذه محمد عثمان والحقيقة ان هذا الاتهام لم يصب داود حسنى فقط بل اصاب قبله وبعده من وصل الى القمة مثل سيد درويش الذى اتهم بالسطو على أعمال استاذه سلامة حجازى ومحمد عبدالوهاب الذى اتهم بالسطو على أعمال سيد درويش.

وقد شهد محمد عثمان نفسه بعبقرية تلميذه داود حسنى حين قال «استمعوا من بعدى لألحان داود حسنى فهو خليفتى على عرش التلحين».

ولم يكن محمد عثمان وحده الذى اعترف بعبقرية داود حسنى الموسيقية فقد غنت له أم كلثوم عدداً كبيراً من ألحانه منها «شرف حبيب القلب بعد الغياب» - «يا فؤادى ايه ينوبك» - «كل ما يزداد رضا قلبك على» - «قلبى عرف معنى الأشواق» «كنت خالى» - «روحى وروحك فى امتزاج» «يوم الهنا» - البعد علمنى السهر» - «جنة نعيمى فى هواك».

وقد أسهمت تلك الألحان فى شهرة أم كلثوم فى بداية طريقها الفنى بما تمتاز به من شعبية وخفة روح. وهو أول ما يميز الحان داود حسنى وموسيقاه.

كما لحن للمطرب الكبير صالح عبدالحى «بلبل الشرق» عدداً من الأدوار كان أشهرها «حرمت أعشق بعد اليوم» و«أوان الوصل قرب بالتهانى» - «أشكى لمين ذل الهوى» - «إن عاش فؤادى لابد تتهنى» - «عصر الهوى والجمال» - «على خده يا ناس ميت وردة».

وقد كانت تلك الأدوار - ولا تزال - من العلامات البارزة فى تاريخ الغناء العربى، خصوصاً دور «على خده ياناس ميت ورده» الذى لا يزال يردده عدد من مشاهير الطرب والغناء على امتداد الساحة العربية قاطبة.

ولحن داود حسنى للمطربة ليلى مراد عدداً من الأدوار الشهيرة منها «هو الدلال يعنى الخصام» - «حيرانه ليه بين القلوب» - «أنين القلب يشكى فى الغرام» - «بينى وبين القلب عتاب» - «أنهى يوم شفته فى هواك».

كذلك فقد لحن داود حسنى عدداً من الموشحات الشهيرة ويعتبر موشح «لما بدا يتثنى» هو أشهرها على الإطلاق، والذى لا يزال وسوف يبقى خالداً ما خلد الغناء العربى.

أستاذ الأساتذة

يعتبر داود حسنى فى نظر الكثير من المهتمين بالموسيقى ونقادها، الأب الروحى للموسيقار المصرى الشهير سيد درويش خصوصاً فى الموسيقى

التعبيرية التى جاءت إرهاصاتها الأولى على يد داود حسنى وبلغ بها سيد درويش أوج اكتمالها.. وقد اعترف سيد درويش بأستاذية داود حسنى حين قال «كلما ظهر لى باب جديد فى الموسيقى وجدت داود حسنى سبقنى اليه فيزيدنى فى ذلك إعجابا بهذا الفنان العظيم».

لقد كان مناخ التسامح الذى اشتهرت به مصر طوال تاريخها هو الذى جعل سيد درويش لا يجد غضاضة فى اعترافه بفضل فنان يهودى، كما جعل داود حسنى نفسه يعترف بفضل الشيخ محمد عثمان والشيخ المسلوب وغيرهما من المشايخ فى تعليمه أصول الموسيقى والغناء ولم يجعل أحداً منهم يأنف أو يرفض تتلمذ أحد شباب اليهود على يديه.

لقد كان المشايخ هم المسيطرين على مجال الموسيقى والغناء فى ذلك الوقت. وحين اتجه داود حسنى وهو الشاب اليهودى الى هذا المجال ورغم ذلك فلم يتردد لحظة واحدة فى دخوله فقد كان التسامح والسماحة ميزة مصر وعنوانها. وكان الجمهور الذى يشكل المسلمون اغلبيته الساحقة يصفق لهذا المطرب والموسيقى كما يصفق لغيره من اساطين الغناء من الشيوخ، ولم يفكر واحد منهم فى انه حين يتمايل طرباً مع غناء داود حسنى إنما يمنح شهادته بالعبقرية والتفرد لرجل يهودى بل كان يمنحها لمطرب وموسيقى مصرى دون النظر لأى اعتبار آخر.

ملك وصعلوك

وقد شارك داود حسنى كلا من سيد درويش وكامل الخلعى ورياض السنباطى فى تلحين أوبريت «هدى».. وقد تتلمذ على يديه عدد كبير من المطربين والمطربات الذين ذاع صيتهم فى عالم الموسيقى والغناء ومنهم زكى مراد وابنته ليلى مراد وصالح عبدالحى ونجاة على ونادرة وأسمهان.

وقد عاش داود حسنى رغم شهرته الواسعة حياة «الصعاليك» بكل معانيها. وقد سجل لنا الناقد الموسيقى المعروف كمال النجمى صورة من صور التشرد التى كان يعيشها داود حسنى فى كتابه «سحر الغناء العربى» فقال: «فى شارع محمد على كان الملحن داود حسنى يمشى مترنحاً يدندن بصوت يعلو ثم يعلو حتى يصبح زعيقاً منغوماً ومن فمه ومن خلال شواربه تتدلق هذه الكلمات الخفيفة:

هاتيلى يا أمة عصفورى

ألعب وأوريكى أمورى

لاجيب له قرطم يتسلى

وأحط فى بقه الغلة

وأدى له يشرب م القله

وأنت حوالينا دورى

لقد كان ذلك منذ عشرات السنين.. ستين أو سبعين سنة.. أكثر من ذلك أو أقل.. المهم ان داود حسنى كان فى شارع محمد على فى ذلك اليوم ليلاً وربما نهاراً. وكان يمشى جائعاً أو شبعان، ومن كان فى مثل حالته هذه لا يستطيع ان يلحن أو يغنى.

ولكن داود حسنى كان يمشى فى شارع محمد على وقد تملكه الوجد الفنى الغلاب الذى ينقاد له الفنانون الحقيقيون بلا مقاومة أو غضاضة.

وكانت منيرة المهدية تريد هذه الكلمات بالذات وتريد من داود شخصياً أن يضع لحنا لها.. فهو الملحن الذى يبنى الشوامخ ويصوغ التحف الصغيرة.. والتواشيح الضخمة وكذلك الطقاطيق الرشيقة. وعن يمين الشارع وعن شماله ومن بيوت «العوالم» على الصفين ترتفع الآهات والصرخات.

- آه كمان يا سى حسنى.

- أيوه أهو كدا الطرب ياسى داود.

- يا خسرتك فى الفقر والله.

ويواصل «سى داود» مسيرته الفنية الصاخبة بشارع محمد على غير عابىء بصرخات الناس وتأوهاتهم.

هكذا كان داود حسنى فناناً من طراز فريد يعيش حياته فناً، وينقل اقدامه على إيقاع الموسيقى غير عابىء بالدنيا وما فيها. وكان ذلك على عكس ماهو مشهور عن اليهود فى كل زمان ومكان من أنهم يعلون من شأن المادة والمال على أى شىء آخر فى حياتهم. ولكن داود حسنى فى هذا الأمر بالذات لم يكن يهودياً.. بل كان مصرياً خالصاً ومخلصاً!.

تزوج داود حسنى مرتين. الأولى عام ١٩٠٦ وأنجب ثلاثة أولاد وبنتاً واحدة. وهم إبراهيم وكمال وأنيسة وموسى.. ولما ماتت زوجته لحن على اثر وفاتها لحناً حزيناً بثه لواعج فؤاده وآلامه لفراقها فى دور «ودعت روحى وحبى لم يودعنى» ويذكرنا هذا بما فعله استاذه عبده الحامولى حينما توفيت زوجته «ألمظ» فغنى لها لحناً حزيناً قال فيه «شربت المر بعد التصافى».

وفى سنة ١٩٣٠ تزوج داود حسنى للمرة الثانية وأنجب ولديه فؤاد وبديع الذى يعمل الآن محرراً للشئون العربية فى إذاعة إسرائيل بعد ان غير اسمه الى «اسحق هاليفى».. وهكذا نرى انه بينما نسى داود حسنى يهوديته أمام مصريته حتى وهو ينتقى أسماء أولاده فاختار لهم أسماء دارجة مما يسمى المصريون بها أولادهم من مختلف الديانات إلا أن أولاده نسوا مصريتهم التى علمهم إياها والدهم وفضلوا عليها يهوديتهم وغيروا أسماءهم التى اختارها لهم ابوهم. وتسموا بأسماء عبرية إسرائيلية بعد أن غيروا وطنهم على غير ما أراد لهم والدهم.. المصرى الأصيل. ذلك الفنان العبقرى الذى خلدته مصر كواحد من أبنائها العظام. ومازالت الأوساط الفنية والثقافية تحتفل بذكرى وفاته حتى الآن يوم ١٠ ديسمبر من كل عام، إذ انه توفى فى هذا اليوم عام ١٩٣٧ ليدفن فى تراب مصر الذى طالما مشى عليه مشنفاً آذان الملايين بصوته الصداح وموسيقاه الرائعة.

5



راقية إبراهيم

- «جريتا جاربو» .. بدأت حياتها خياطة!
- غيرت اسمها العبرى .. ثم استردته فى إسرائيل!
- تغنت بحب مصر .. ثم هجرتها إلى أمريكا!
- عضو الوفد الإسرائيلى فى الأمم المتحدة .. مصرية الأصل!
- أصبحت نجمة مشهورة بسبب شبهها لليلى مراد!

هناك يهود ولكن مصريون.. وهناك أيضا مصريون ولكن يهود! والفرق ين الطائفتين واضح. فاليهودية دين والمصرية وطن. ولكن هناك من يعتبر اليهودية ديناً ووطناً فى آن واحد. وقد رأى هؤلاء أنه حين يكون المرء يهودياً يجب عليه أن يكون إسرائيليا بالضرورة. وكأنه من المستحيل ان يكون يهوديا ومصرياً فى الوقت نفسه، ولكن نحمد الله أن هؤلاء كانوا القلة بين يهود مصر.. فكانت الغالبية منهم يهوداً ولكنهم مصريون. أعطوا لمصر ـ وطنهم ـ بقدر ما أعطتهم من سماحة وحب ورعاية.. بينما فضل الآخرون منهم أن يعطوها ظهورهم مدبرين رغم كل ما أخذوه منها وعنها.

ومن هؤلاء كانت راشيل ليفى التى تحولت إلى راقية إبراهيم!

لعب الحظ دوره الكبير فى حياة الفنانة راقية إبراهيم حين كانت مجرد ممثلة مغمورة فى فرقة التمثيل المصرية. وهى التى لم يكن يخطر على بالها ابداً أن اسمها سوف يلمع فى السينما وتصبح واحدة من ألمع نجومها وأكثرها بريقاً وشهرة.

إن كل ما كانت تتمناه راقية إبراهيم بعد أن اختارت لنفسها مهنة التمثيل هو ان تقوم بدور البطولة فى احد العروض المسرحية التى كانت تقدمها «الفرقة المصرية» فى ذلك الوقت، غير ان الحظ جعل بهيجة حافظ وهى ـ كما يقول تاريخ السينما ـ أول مخرجة مصرية من الفصيلة النسائية تختلف مع ليلى مراد حين رفضت الاخيرة القيام بأداء الدور الثانى فى فيلم «ليلى بنت الصحراء». فاضطرت بهيجة حافظ للبحث عن فتاة أخرى يكون لها قوام يشبه قوام ليلى مراد وجمال لا يقل عن جمالها، وتذكرت أنها كانت قد شاهدت فتاة تجيد التمثيل واسمها راقية إبراهيم.

حين طلبتها بهيجة حافظ للقيام بالبطولة الثانية فى فيلمها الجديد لم تصدق راقية إبراهيم نفسها وكادت تطير فرحاً حين رأت الحظ وقد بدأ يطرق بابها لأول مرة فى حياتها التعسة.

بسرعة الصاروخ

لم تصدق راقية أنها أصبحت ممثلة على الشاشة الفضية إلا بعد أن وقعت العقد مع بهيجة حافظ، وقد أعجب العاملون باستديو مصر بالممثلة الناشئة التى تقوم بالدور الثانى فى فيلم «ليلى بنت الصحراء» فرشحوها للقيام بالدور الأول ـ دور البطولة المطلقة ـ فى فيلم «سلامة فى خير» أمام نجيب الريحانى.

وبينما كانت تقوم بهذا الدور اختاروها للقيام بدور البطولة أمام أنور وجدى فى فيلم «جزيرة الأحلام».. وهكذا أصبحت راقية إبراهيم مطلوبة من الجميع للقيام بأدوار البطولة قبل أن يعرض فيلمها الأول.. وهى التى لم تكن تصدق أنها ستقوم بأحد الأدوار الثانوية فى السينما.

وبعد أن شاهد محمد كريم هذا الفيلم طار إعجاباً بمواهب البطلة المغمورة فقرر على الفور إسناد دور البطولة لها أمام محمد عبدالوهاب فى فيلمه الجديد «رصاصة فى القلب».

نشأة فقيرة

بدأت راقية إبراهيم حياتها فى حى السكاكينى بالقاهرة، وهو الحى الذى كان يجمع معظم يهود القاهرة فى ذلك الوقت.. ولما كانت أسرتها فقيرة فقد اختارت «راشيل إبراهام ليفى» ـ وهو اسمها الحقيقى ـ مهنة الخياطة لتعول أسرتها.. ثم انتقلت للعمل فى المسرح كممثلة ناشئة فى الفرقة المصرية، ولكن بدأ نجمها يصعد حين لعبت دوراً مهماً فى مسرحية «سر المنتحرة» لتوفيق الحكيم عام ١٩٣٨، وهو المؤلف نفسه الذى مثلت له فى السينما فيلم «رصاصة فى القلب» أمام معبود الجماهير فى ذلك الزمان.

محمد عبدالوهاب.. وقد اختير الفيلم لتمثيل مصر فى مهرجان برلين للسينما فسافرت معه بطلة الفيلم راقية إبراهيم. فكانت أول ممثلة مصرية تمثل مصر فى مهرجان سينمائى عالمى. وحين وصل الوفد السينمائى

المصرى إلى ألمانيا برئاسة محمد الشريف تم استقباله رسمياً من إدارة المهرجان، ولكن بعد أن علم القائمون على المهرجان بوجود ممثلة يهودية فى الوفد المصرى انقلب الوضع، وأصبحت راقية إبراهيم هى المتحدث الرسمى باسم الوفد المصرى؛ مما أثار حفيظة رئيس الوفد محمد الشريف فثار فى بهو الفندق الذى كان ينزل فيه الوفد، ولم تهدأ ثورته إلا بعد تدخل السفير المصرى لحل المشكلة بلباقة ودبلوماسية.

بطلة أمريكية

وكان للحفاوة الكبيرة التى استقبلت بها راقية إبراهيم فى مهرجان برلين أن رشحتها الصحف المصرية للقيام بأدوار البطولة فى أفلام هوليود.

وبعد أن عادت إلى مصر من برلين سافرت إلى أمريكا فنشرت الصحف المصرية أخباراً عن اختيارها للتمثيل فى فيلم أمريكى أمام عدد من نجوم السينما العالميين فى ذلك الوقت، ولكن كانت الحقيقة غير ذلك حيث سافرت راقية إبراهيم إلى أمريكا للعلاج من آلام الكبد التى كانت تعاودها بين فترة وأخرى.

دخلت راقية إبراهيم مستشفى بريستريان لإجراء الفحوص الطبية على يد الطبيب العالمى هابيف الذى أجرى لها عملية ناجحة فى الكبد، بينما كانت الصحف المصرية تتحدث عن غزوها لهوليود عاصمة السينما الأمريكية وترشحها للقيام بأدوار البطولة لعدد من الأفلام أمام كبار نجوم السينما فى ذلك العصر.

ولم يكن الأمر - فى واقع الحال - سوى حملة دعائية دبرتها راقية إبراهيم بنفسها قبل سفرها إلى أمريكا لإجراء الفحوصات الطبية اللازمة للتخلص من آلام الكبد، وهو ما يؤكد تفكيرها على الطريقة اليهودية فى الاستثمار والانتهازية!!

وبعد نجاح العملية عادت راقية إبراهيم إلى مصر وفى حوار لها مع مجلة الكواكب عام ١٩٥٣ قالت راقية إبراهيم متحدثة عن لهفتها وشوقها لمصر «وطنها الحبيب»، إن أمريكا بكل ما فيها من عظمة وثراء لم تنجح فى إزالة وحشتى لوطنى - تلك الوحشة التى لم يشعر بها أو يجربها إلا من سافر،

تركهـا، لقـد وحشـتنى مصـر بشكل لا يمكن أن نصـوره، وحشنى غبـارها وشوارعها وحتى مطباتها ودور السينما، وحتى معارفى وأصدقائى، ورغم ذلك فإن الوحشة الكبرى التى شعرت بها والتى طغت على وحشتى لكل شىء فى مصـر هى وحشتى لـرغيف العيش المصرى المخلوط، لقـد كان أول شىء تذوقته وبنهم حين وطأت قدماى أرض المطار.

لقد أكلت راقية إبراهيم كما جاء على لسانها لمحرر مجلة الكواكب رغيفاً بدون إدام: «لأننى كنت أستنشق فيـه رائحـة الغلة» ورائحـة الأرض الطيبـة «أرض مصر»!.

ومن يقـرأ هذا الكلام الذى يفـيض بالوطنيـة والحب لم يكن يصـدق أن الفنانة التى قالته سوف تغادر مصر بعد سنوات قليلة من التصريح به إلى أمريكا بغير رجعة، وأنها سوف تلتحق بالوفد الإسرائيلى فى الأمم المتحدة، مبتعدة عن أرض «مصـر الطيبـة» و«طين الأرض».. و«رائحـة الغلة».. وإلى الأبد..!!

العهد الجديد!

وحين سألها محرر الكواكب فى الحوار نفسه الذى نشرته المجلة عام ١٩٥٣ عن السـبب فى اتهـام البـعض لهـا بـ «الكسل» وقلة أفلامهـا، قـالت راقـيـة إبراهيم: الواقع أن سبب رفضى الظهور فى الأفلام التى يعرض علىّ العمل بها لا يرجع إلى الكسل، ولكن إلى أسباب كثيرة، وفى مقدمتها تفاهة تلك الأفلام وقيامها على التهريج الرخيص، واستغلال مشاعر الجماهير بطريقة مكشوفة لا تليق، أما الآن وبعد أن وثبت السينما المصرية وثبتها الملحوظة فى العهد الجديد، بعد ثورة يوليو، فلم يبق هناك مانع يحول بينى وبين الجمهور فى أى فيلم يكون لى فيه دور مناسب.

وعن رأيها فى السينما عام ١٩٥٣ قالت راقية إبراهيم: لقد شهدت السينما فى الشهور الأخيرة تطوراً كبيراً يبشر بنهضة قوية كاملة، ولكن الكمال لله وحده، ولقـد لاحظت ـ للأسف ـ أن بعض أصحاب الأقلام يفهمون أن رفع مستوى السينما لا يكون إلا بإخراج أفلام تنطوى على الجد الخالص والتوجيهات السافرة ذات النزعة الخطابية. وهذا النوع من الأفلام ضرره

أكبر بكثير من نفعه فضلاً على أنه بعيد كل البعد عن الفن الصحيح، فإن الجمهور فى كل بلاد العالم يستثقل النصيحة والتوجيهات المكشوفة التى تقوم على الخطابة، ومن ثم نراه ينصرف إلى غيرها من الأفلام، ولا يخفى علينا أن الجمهور المصرى جمهور مرح، وهو لا يميل إلا إلى الأفلام التى تنطوى على المرح وبراعة الفنانين السينمائيين تتجلى فى استغلال هذا الميل بالمزج - بطريقة فنية - بين الفكاهة والعظة والعبرة؛ إذ أن فكاهة واحدة من هذا النوع قد يكون لها من الأثر أكثر مما يتوفر لألف خطبة أو موعظة.

يقول الشاعر والكاتب المعروف صالح جودت واصفاً راقية إبراهيم فى مجلة الكواكب عام ١٩٥٢: إن جميع رواد السينما يجمعون على أن فى هذه السيدة سحراً عميقاً؛ ولكن أكثرهم لا يعرف مصدر هذا السحر على وجه الدقة، قد يرون أن السحر فى قامتها المديدة إلى حد قد يرتفع إلى فوق مستوى الكاميرا وقد يجبر صاحب الكاميرا على النزول بآلته أو يجبر المخرج على التحايل على النظر، وقد يرون السحر فى فنها البارز الذى صقله المسرح فزاده إشراقاً على إشراق، وقد يرون السحر فى هاتين العينين اللتين لا تتميزان بشىء أكثر من أنهما تصدقان فى التعبير عن الحب والكراهية، وهى ميزة قلما تتوافر فى كثير من الممثلات. وقد تكون هذه الأمور جميعاً من مصادر السحر فى راقية، ولكن مصدر سحرها الأول هو فى صوتها.. أعتقد أنه أعمق أصوات الممثلات على المسرح وفى السينما.

وإذا كانت راقية إبراهيم قد بدأت بالتمثيل إلا أنها قد تحولت إلى الغناء والطرب فى فيلم «رصاصة فى القلب» الذى لعبت دور البطولة فيه مع محمد عبدالوهاب الذى كان يلقب فى ذلك الوقت بـ «كروان الشرق وبلبله».

وعن تلك التجربة تقول راقية إبراهيم: كنت أعشق التمثيل، كما كنت أعشق الطرب أيضاً، ولطالما تمنيت أن أجمع بينهما إذا اشتغلت بالفن، ولكن الذين تعاملوا مع مواهبى الفنية، كانوا يقولون إننى خلقت لأكون ممثلة فقط، وأقسمت بينى وبين نفسى أن أكون مطربة أيضاً، ولكن كيف السبيل إلى الوفاء بقسمى؟ بدأت الظهور على الشاشة كممثلة، وتنقلت بين مختلف الأفلام وأدوارى فيها لا تتعدى حدود التمثيل، فيما عدا قطعة غنيتها بطريقة «الدوبلاج» فى فيلم «الحل الأخير» وأيضاً فوق خشبة المسرح، ولم يتح لى

يومها أن أقف على خشبة المسرح كى أطرب الجمهور بصوتى.

وجاءنى الفرج أخيراً حينما اختارنى الأستاذ محمد عبدالوهاب لكى ألعب أمامه دور البطولة فى فيلم «رصاصة فى القلب» وكان من عادته أن يختار بطلات أفلامه من المطربات لمشاركته فى إلقاء بعض الأغنيات، وكاد دورى فى فيلم «رصاصة فى القلب» يفلت منى، لولا أن عرف عبدالوهاب حبى للغناء وجرب صوتى وعرف حدوده، فإذا به يضع الألحان التى تتناسب وإمكانياتى الصوتية، وأصبحت فى طرفة عين مطربة تغنى من ألحان عبدالوهاب نفسه بعد أن ظل الكثيرون ينظرون إلى كممثلة فقط.

يهودية بطبيعتها!

وعلى الرغم من شهرتها الواسعة وحب الجماهير لها، فضلاً على حب العاملين فى السينما؛ فإن راقية إبراهيم ظلت هى «راشيل ليفى» الفتاة اليهودية التى تنظر إلى غيرها بالشك وعدم الود المشوب بالحذر، وقد قيل إنها تنازلت عن ألف جنيه من أجرها ليوسف وهبى مقابل أن يرفض قيام فاتن حمامة بالدور الثانى فى فيلم «ملائكة الرحمة»، ولكن يوسف وهبى رفض العرض بطبيعة الحال. وكانت راقية إبراهيم كثيرة الإعجاب بالممثلة العالمية «جريتا جاربو» وقد أطلق عليها بعض النقاد «جريتا جاربو» المصرية.. وعن إعجابها بهذه الممثلة المشهورة تقول راقية «إنها الشخصية التى استحوذت على مشاعرى.. إنها أستاذتى الكبيرة وأنا لم أتأثر فقط بتمثيل أعمق ما فى النفس من مشاعر متباينة، بل تأثرت بها كإنسانة غريبة عن أمريكا عرفت كيف تحافظ على كرامتها وهيبتها، وتعلن أن وطنها فوق جميع الأوطان.

بعد عودتها من أمريكا عام ١٩٥٣ قامت راقية إبراهيم ببطولة فيلم «ماكنش على البال» من إخراج حسن رمزى وقام بالبطولة معها كمال الشناوى وإسماعيل ياسين وعزيزة حلمى.

بين نارين

تزوجت راقية إبراهيم من مهندس الصوت مصطفى والى الذى أسس لها شركة إنتاج سينمائى باسم «أفلام راقية» ولكن سرعان ما نشب الخلاف

بينهما بسبب شهرتها وجمالها، وقد كان شديد الغيرة عليها، بينما لم تكن هى تعبأ كثيراً بمشاعره، ولم تكن تعبأ فى الحقيقة إلا بأمواله التى وظفها فى إنتاج أفلام تقوم هى ببطولتها فتم الطلاق بينهما بعد أن استحال استمرار الزواج والعيش معاً تحت سقف واحد.

والحقيقة أن راقية إبراهيم لم تكن أفضل ممثلات جيلها ـ كما يقول كثير من النقاد والمعاصرين لها ـ ولولا الدروس التى تلقتها على يد الممثل الكبير عبدالوارث عسر لما استطاعت راقية إبراهيم أن تقف أمام الكاميرا لتلعب أدوار البطولة فى أفلام سينمائية أمام أساطين التمثيل فى عصرها، مثل يوسف وهبى وأنور وجدى وكمال الشناوى وعبدالوارث عسر وزكى رستم.

وقد أعجبت راقية إبراهيم بالممثل أنور وجدى الذى مثلت أمامه فيلم «بين نارين» وهو ثانى فيلم تقوم ببطولته فى السينما، وقد رشحت راقية أنور وجدى ليلعب دور البطولة أمامها فى أول فيلم تقوم بإنتاجه بنفسها، غير أن محمد كريم مخرج الفيلم رشح لها الممثل أحمد سالم الذى كان يتميز هو الآخر بوجه أرستقراطى، وكان متزوجاً من المطربة الشهيرة أسمهان، واتهم بمحاولة قتلها بإطلاق الرصاص بسبب غيرته الشديدة عليها. وقد دخل أحمد سالم السجن بسبب ذلك، وبعد أن خرج منه رشحه محمد كريم ليلعب دور البطولة أمام راقية إبراهيم.

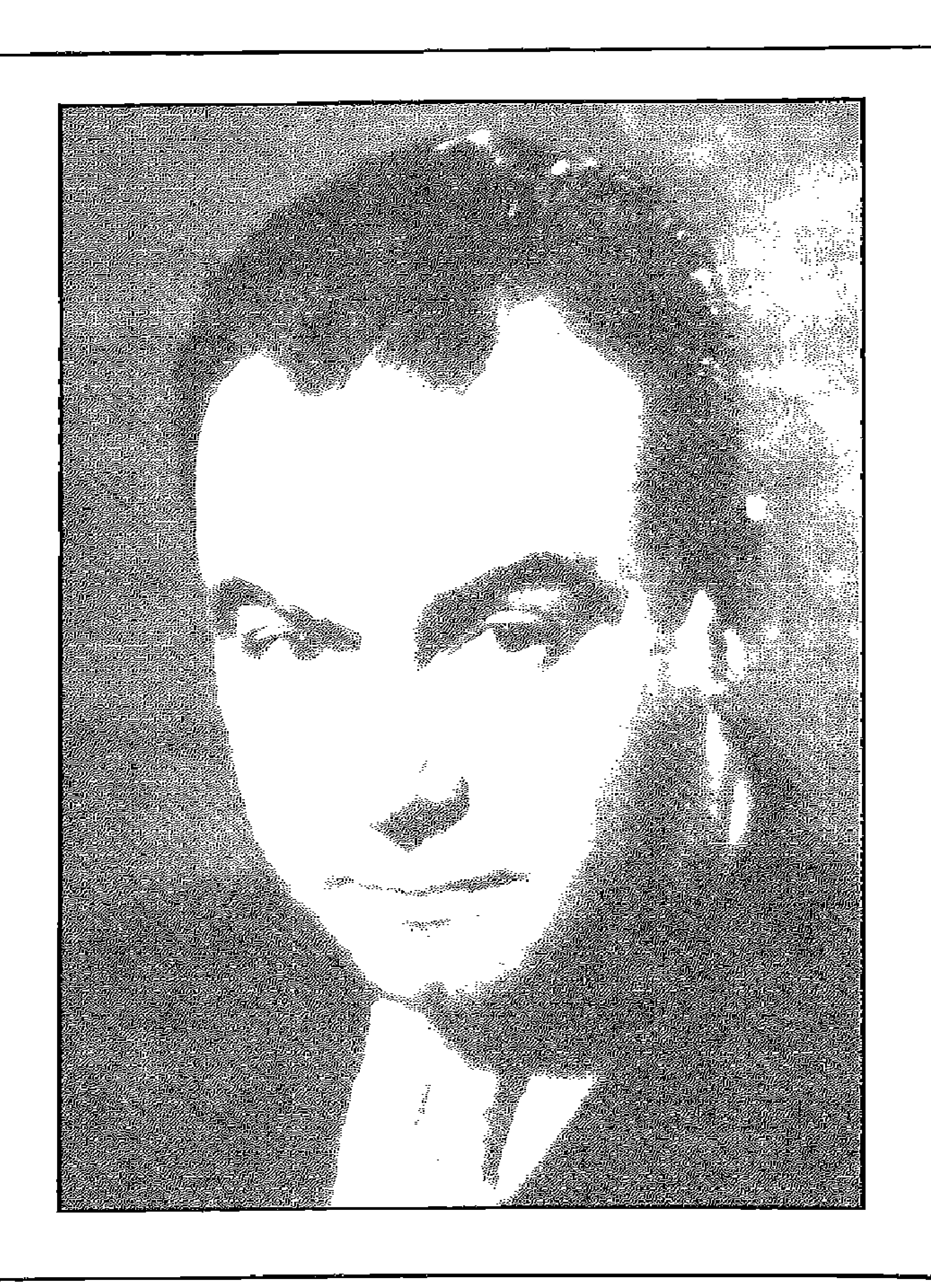
على الرغم من نجاحها كممثلة ومطربة والثراء الضخم الذى حققته من وراء اشتغالها بالفن وحياة الرغد التى كانت تعيشها فى مصر كمواطنة فنانة فإن راقية قررت الهجرة إلى أمريكا بل العمل بقسم الاتصال والإعلام الخاص بالوفد الإسرائيلى فى هيئة الأمم المتحدة.

وبعد أن أحيلت للمعاش افتتحت محلاً لبيع المجوهرات والتحف الشرقية التى كانت تستوردها من إسرائيل والهند. وقد قامت بزيارة إسرائيل عدة مرات، وأدلت بأحاديث لصحافتها تصف فيها حبها لإسرائيل بعد أن نسيت مصر وطنها ورغيف العيش المصرى الذى كانت تتغزل فيه وتحن إلى طعمه وهى فى أمريكا..!!

6

توجو مزراحى





● غيَّر اسمه إلى «أحمد».. ثم عاد إلى توجو مزراحى!!

● فى أحد أفلامه.. كل الممثلين معه من اليهود!!

● أول من أدخل التجارة إلى عالم السينما!!

● أول من عرف «أفلام المقاولات» فى السينما المصرية!!

كانت مصر من أوائل البلاد التى عرفت السينما فى العالم، بل إنها عرفت السينما قبل بلاد أوروبية كثيرة مثل إيطاليا، وروسيا، بل قبل أمريكا ذاتها.

يقول تاريخ السينما العالمية إن أول عرض سينمائى جرى بشكل تجارى كان يوم ٢٨ ديسمبر ١٨٨٥، وذلك فى الصالون الهندى بالمقهى الكبير «جراند كافيه» فى شارع كابوسين فى باريس، بعد ذلك بأسبوع واحد فقط، أى فى وائل يناير ١٨٩٦، وفى مقهى «زوانى» بالإسكندرية جرى أول عرض سينمائى تجارى فى مصر - ولم يكد ينتهى شهر يناير من العام نفسه حتى شهدت القاهرة أول عرض سينمائى تجارى فى سينما «سانتى» بالقرب من فندق «شبرد» القديم، وكانت الإسكندرية نفسها هى أولى المدن المصرية التى عرفت السينما، بل إنها عرفتها قبل القاهرة ذاتها، وقد أسس محمد بيومى أول ستديو مصرى للسينما فى الإسكندرية عام ١٩٢٣ ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن الإسكندرية كانت فى ذلك الوقت مدينة الأوروبيين والمتمصرين واليهود، وهم أول من اهتم بفن السينما فى مصر.

وفى الإسكندرية - أم السينما - ولد وعاش المخرج والممثل والمنتج والكاتب السينمائى «توجو مزراحى».

بدأ «توجو مزراحى» حياته الفنية فى الإسكندرية التى كان يتركز فيها النشاط السينمائى فى مصر قبل أن ينتقل إلى القاهرة وكان أول فيلم ينتجه «توجو مزراحى» هو «الكوكايين» وهو الذى قام بإخراجه أيضاً عام ١٩٣٠، كما قام ببطولته بعد أن أطلق على نفسه اسم «أحمد المشرقى» وفى هذا الفيلم يوضح «توجو مزراحى» أخطار المخدرات وتأثيرها على حياة الطبقة العاملة.

وبعد ذلك بعام فقط أنتج «توجو مزراحى» فيلمه الثانى وهو بعنوان «٥٠٠١» ثم قدم عام ١٩٣٣ فيلمه الثالث وكان بعنوان «أولاد مصر» الذى كان أول فيلم مصرى يعالج مشكلة نفسية؛ محاولاً تقديم علاج لها على أساس علمى.

ويؤكد النقاد أن «توجو مزراحى» الذى كان يقوم بالإنتاج والتأليف والإخراج والتمثيل كان ملماً إلماماً طيباً باللغة السينمائية، وقد ظهر ذلك بوضوح فى كل أفلامه التى قدمها.

كان توجو مزراحى يجيد التعبير بالصورة، كما كان الحوار فى أفلامه قليلا بدرجة ملفتة للنظر، كذلك فقد كانت الملاحظة الفنية الجديرة بالتسجيل هى أن «مزراحى» كان يلجأ كثيرا إلى أسلوب «الفوتو مونتاج» للتعبير عن مرحلة انتقال فى تطور قصصه، بينما كان الشائع فى الأفلام المصرية - آنذاك - هو أسلوب السرد بالحوار.

وبطل قصة «أولاد مصر» هو طالب بكلية الهندسة يتخرج فيها بامتياز ويتقدم لطلب يد «دولت» شقيقة حسنى زميله بالكلية إلا أن والدها يرفض طلبه، بسبب الفارق الاجتماعى بينهما، فقد كان والد «أحمد» يعمل «عربجى كارو» ولم يكن يتصور وهو المهندس أن مهنة أبيه المتواضعة ستكون حائلا بينه وبين الزواج من حبيبة القلب.

يصاب أحمد بأزمة صحية حادة وينقل إلى مستشفى للأمراض العقلية، ولكن علاجه كان عسيرا، لأنه أصيب بفقدان الذاكرة وتبذل «دولت» حبيبته وشقيقها حسنى جهودا مضنية لمساعدته على الشفاء وإنقاذه، من مصابه، وأخيرا ينجحان فى ذلك وتعود إلى أحمد ذاكرته ويتزوج من حبيبته.

وفى فيلم «خمسة آلاف وواحد» شارك ممثل يهودى آخر اسمه شالوم هذه المجموعة بطولة الفيلم بالإضافة إلى عدد آخر من الشبان اليهود بالإسكندرية الذين اعتمد عليهم توجو مزراحى فى معظم أفلامه الأولى كوجوه جديدة، بينما كان المخرجون الآخرون يعتمدون على الممثلين المحترفين الذين كانوا مستعارين من المسرح، وقد ساعد ذلك توجو مزراحى على تقديم أفلامه بأسلوب سينمائى، مبتعدا عن الأداء المسرحى الذى كان يغلب على أولئك الممثلين المحترفين فى الأفلام الأخرى، كما كان مزراحى يهدف من وراء استعانته بالوجوه الجديدة إلى خفض تكاليف الإنتاج بسبب

قلة أجور أولئك الشباب من المغمورين بالقياس إلى أجور الممثلين المحترفين.

بين الفن والتجارة

كان توجو مزراحى من أوائل المصريين الذين أنشأوا ستديو سينمائيا، وكان الاستديو الذى أنشأه مزراحى فى باكوس بالإسكندرية من أوائل ستديوهات السينما فى مصر، وقد اضطر «مزراحى» لإغلاقه بعد أن قرر نقل نشاطه إلى القاهرة، فقام باستئجار ستديو وهبى بالجيزة، كما تخلى عن فكرته فى الاستعانة بالوجوه الجديدة، وشرع في الاستعانة بالممثلين المعروفين بمسارح القاهرة فى ذلك الوقت.

وكان توجو مزراحى أول من أدخل التجارة على السينما حين شارك شركة جوزى فيلم، وهى شركة يهودية فى امتلاك وإدارة عدد من دور السينما بالقاهرة والإسكندرية وبورسعيد والسويس، وكان الربح هو دافعه الأول من وراء مشروعه فى امتلاك وإدارة تلك الدور السينمائية، إذ كان يقول دائما «لا أحد يمكنه دخول السينما مجانا».

وتوجو مزراحى هو ابن الإسكندرية وكان مثقفا وبحاثة عصبى المزاج، سريع الفهم، رشيق المظهر، يكره الادعاء ويحب الحقيقة و يكره التزويق والتملق.

هكذا يصفه أصدقاؤه ومعارفه الذين زاملوه سنوات حياته الأولى، وقد أنشأ توجو مزراحى ستديو باكوس على أحدث طراز كانت تبنى عليه استديوهات السينما فى العالم، ولم يكتف توجو مزراحى فقط بالاعتماد على الشبان اليهود فى أفلامه الأولى، بل إنها - تلك الأفلام - كانت تمثل عناوين وأسماء يهودية واضحة مثل «شالوم الترجمان» و«شالوم الرياضى» بالإضافة إلى عدد آخر من الأفلام منها «المعلم بحبح»، و«الدكتور فرحات»، و«سلفنى ٣ جنيه» وهو من أشهر أفلام الممثل الكوميدى الشهير على الكسار، الذى كان يلقب بـ«بربرى مصر الوحيد»، و«غفير الديك»، و«١٠٠ ألف جنيه»، و«يوم المنى»، و«الساعة ٧»، و«التلغراف».

الربح السريع

وحين انتقل توجو مزراحى إلى القاهرة أنتج وأخرج عددا كبيرا من الأفلام

التى كانت قياسية فى مدة تصويرها، وقياسية أيضا فى مدة عرضها، حتى أنه استغرق أسبوعاً واحدا فقط فى تصوير فيلم «سلفنى ٣ جنيه» بطولة على الكسار، وإذ أنه كان ينتهى من تصوير أكثر من ٨٠ شوطا أو مشهدا فى اليوم والواحد، وبذلك يكون توجو مزراحى هو الأب الشرعى لما يسمى بأفلام المقاولات، وهى الظاهرة التى لاتزال تعانى منها الأفلام المصرية حتى الآن، ويقصد بها الأفلام «الهابطة» التى تعتمد على قلة التكاليف والموضوعات السطحية ومخاطبة غرائز المتفرج لضمان الإقبال والربح.

وفى مرحلة القاهرة تحول إنتاج «توجو مزراحى» من الأفلام التى تطرق موضوعات اجتماعية إلى الأفلام الفكاهية، فقدم «المندوبان» الذى اشترك فيه الممثل اليهودى شالوم مع فوزى الجزايرلى وإحسان الجزايرلى ثم «الدكتور فرحات» الذى قام ببطولته أيضا فوزى الجزايرلى وإحسان الجزايرلى مع تحية كاريوكا وقد حقق الفيلم نجاحا جماهيريا كبيرا عاد إلى توجو مزراحى منتج الفيلم بالأرباح الطائلة رغم أنه لم يتكلف سوى مبالغ ضئيلة جدا، وقد دفع توجو مزراحى ثمانين جنيها فقط لأسرة الجزايرلى كلها، أى للبطل فوزى الجزايرلى والبطلة إحسان الجزايرلى وفؤاد الجزايرلى كاتب الحوار ومساعد المخرج.. أما أجر الأسرة نفسها - أسرة الجزايرلى - عن فيلم «المندوبان» فقد كان ثمانية جنيهات فقط خص فؤاد الجزايرلى منها ثلاثة جنيهات.

ومن أشهر الأفلام التى قام توجو مزراحى بإخراجها أفلام ليلى مراد التى حملت اسمها، مثل ليلى بنت الريف وليلى بنت مدارس وكانت هذه المرة الأولى التى يحمل فيها الفيلم اسم البطلة التى تظهر فيه باسمها الحقيقى وقد جاء إسماعيل ياسين بعد ذلك ليكرر التجربة نفسها ولكن مع مخرجين آخرين اقتفوا أثر توجو مزراحى مع ليلى مراد فجاءت أفلام إسماعيل ياسين التى تحمل اسمه مثل «إسماعيل ياسين فى البوليس الحربى» و«إسماعيل ياسين فى الطيران» و«إسماعيل ياسين فى حديقة الحيوان».. إلخ ويعتبر فيلم «سلامة» الذى قامت ببطولته أم كلثوم من أشهر بل أشهر أفلام «توجو مزراحى» على الإطلاق، وهو الفيلم الخامس الذى قامت أم كلثوم بتمثيله على الشاشة الفضية.

عـرض فيلم «سـلاَّمـة» لأول مـرة فـى شـهـر أبريل عـام ١٩٥٤ وهـو من إنتـاج وسـيناريو وإخـراج توجـو مـزراحـى عـن قصـة الكاتب والشـاعـر المعـروف على أحـمـد باكـثـيـر.. أمـا الحـوار فكان للشـاعـر بيـرم التونسـى الذى كتب مـعظم أغنيات الفيلم لأم كلثوم.

قـامت أم كلثوم فى هذا الفيلم بدور سـلامـة، وهـى ثـالث مـرة تقـوم فـيـهـا أم كلثوم بدور الجارية المغنية على الشـاشـة، وتدور القصة فى المدينة فى العصر الأمـوى، واقتـرن اسمـها بـاسـم رجل ورع تقى من أهل مكة اسـمه «عبدالرحمن القس» قام بدوره الممثل الراحل يحيى شاهين.

وقد كتب الشاعر الشعبى بيرم التونسى أغنية باللغة البدوية فاشتمل الفيلم على تسع أغنيات كلها من نظم بيرم ما عدا قصيدتين هما «قالوا أحب القس سـلامـة» التى تنسب لعلى أحـمـد باكـثـيـر صـاحب قصة الفيلم، بينمـا هـى من الشعر القديم وثانيتهما «يا بعيد الدار» للشاعر الأموى عباس بن الأحنف، أما بقية الأغنيات وهى «غنـى لى شوى شـوى- قل لى ولا تخشـاش ملام- وسـلام الله على الأغنام- وعـينى يا عـينـى- وبرضـاك يا خـالقى- فى نور مـحـيـاك» فكانت كلها من نظم بيرم التونسى.

وإذا كـان بيـرم التونسـى قـد اسـتـأثر بمعظم أغـانى الفيـلم نظمـا، فإن زكريا أحمد قد استأثر بمعظم أغانى الفيلم تلحينا، إذ قام بتلحين معظم الأغنيات، بينـمـا اكـتـفـى رياض السـنبـاطى بتلحين أغنيـة واحـدة هـى «قـالوا أحـب القس سـلامة».

ومجنون سلاَمة

ومما يحسب لـ«توجو مـزراحـى» فى هذا الفيلم أنه ارتفع بمستوى أم كلثوم إلى أرفع الدرجات وأنه حصل منها على أعظم قدراتها فى التعبير والتقمص وفيـه لم تكتف أم كلثوم بالغناء متنقلة بين اللون البدوى والشـعـر الفصـيح بل قرأت فيه آية قرآنيـة لأول مرة على الشـاشـة من سـورة «إبراهيم» فاهتـزت لها القلوب بالخـشـوع والإيمان وكـانت سـبـبـا فى مـعـركـة فـقـهـيـة بين رجـال الدين وغيرهـم على صفحـات الصـحف، حـول موضـوع «صـوت المرأة» وهـل يحق لهـا قـراءة القرآن بصوت مسموع وعلى الملأ؟!

وكان هذا الفيلم آخر الأفلام التى أنتجها «توجو مزراحى» فقد أصيب بعدها بالجنون وكانت «سلامة» هى السبب.

لقد عرض فيلم سلامة فى شهر أبريل وهو موسم الامتحانات لطلبة المدارس، وهم الغالبية العظمى لجمهور السينما، مما تسبب فى قلة الإقبال الجماهيرى على الفيلم، وبالتالى فقد منتجه «توجو مزراحى» نفسه خسائر فادحة بسبب ذلك، وحينما فشل «مزراحى» فى تعويض خسائره المادية عن هذا الفيلم محليا حاول تسويقه عربيا ولكن، «سقوطه» المزرى فى السوق المحلى حال دون حصوله على تعويض مناسب فى سوق السينما العربية، فاضطر توجو مزراحى لبيع الفيلم للموزع العراقى إسماعيل شريف صاحب دور سينما الحمراء فى بغداد والبصرة والموصل بثمن بخس.

كانت المفاجأة أن حقق الفيلم أعلى الإيرادات للموزع العراقى فى الأسابيع الأولى لعرضه هناك، وحين علم «توجو مزراحى» بذلك أصابته لوثة عقلية، دخل على إثرها مستشفى بهنام للأمراض النفسية والعصبية للعلاج.. وحين خرج منها لم يقو على إنتاج أى فيلم، وبقى ملتزما بيته معتزلا الفن والناس.. والحياة!

وعلى إثر العدوان الثلاثى على مصر غادرها توجو مزراحى ليعيش فى روما بإيطاليا حتى توفى هناك عام ١٩٨٧.

توجو المنقذ

الطريف أن يوسف وهبى كان قد تعرض للإفلاس بسبب اشتغاله بالفن فى بدء حياته، ولكنه عاد ليقف على قدميه من جديد ليصبح من أثرياء الفنانين، وكان الذى أنقذه من هذه الورطة المالية وأعاده إلى حياة الغنى والترف هو توجو مزراحى نفسه.

والذى حدث أن يوسف وهبى ابن أحد أكبر أثرياء مديرية المنيا بالصعيد، كان قد ضيع ثروته فى تأسيس المسارح، وتكوين الفرق، ثم نقل نشاطه من المسرح إلى السينما التى كانت لاتزال فى بداياتها وتدر أرباحا طائلة على منتجى أفلامها.. ولكن يوسف وهبى «بك» لم يستطع تعويض خسائره بالعمل فى السينما حتى جاء توجو مزراحى ليخرج له سلسلة من الأفلام تلعب دور

البطولة فيها الممثلة اليهودية فى ذلك الوقت ليلى مراد التى ذاع صيتها وأصبحت من ألمع نجوم السينما والطرب، فاختاره توجو مزراحى للوقوف أمامها بطلا فى سلسلة الأفلام التى تحمل اسمها «ليلى بنت مدارس»، و«ليلى بنت الريف»، و«ليلى بنت الفقراء»، و«ليلى بنت الأغنياء».. إلخ.

وقد خرج يوسف وهبى من هذه الأفلام التى اشتهرت وراجت بحصيلة وافرة من الأموال الطائلة أعادت ثروته واسمه وحياته بعد أن كان قد فكر فى الانتحار تخلصا من أزمته النفسية الطاحنة التى أوقعه فيها إفلاسه.

ولما كانت نزعته التجارية غالبة على موهبته الفنية، فقد كان على توجو مزراحى أن يدفع الثمن غاليا.. فقد مات فنيا.. حين مات ماديا.. وظل لأكثر من أربعين سنة منزوياً فى مصر وروما، حتى مات عام ١٩٨٧ وهو الذى كان قد مات فنيا منذ عام ١٩٤٧، أى قبل ذلك بأربعين عاماً كاملة، بسبب خسارته المالية عن فيلم بطولة أم كلثوم!!

7



ليلى مراد

- بدأت بتقليد أم كلثوم.. وانتهت منافسةً لها!
- حذرها أبوها من عبدالوهاب.. فتحدته ونجحت!
- اعتزلت الغناء والتمثيل.. والسبب نجاة الصغيرة!
- أنتجت فيلماً عن فلسطين لتثبت وطنيتها!
- أشهرت إسلامها.. ودفنت فى مقابر المسلمين!

كـان زكى مـراد واحـداً من أشـهـر المطربين فى عـصـر الطرب الحقـيقى، فقـد عـاصـر عدداً من الأسماء التى حفرت فى سجل الخـالدين مثل يوسف المنيلاوى، وداود حسنى وصـالح عبدالحى، وعبدالحى حلمى، وسيد درويش.. ربما لهذا السبب لم يكن غريباً أن تكون «ليلى» ابنة المطرب الكبير مطربة كبيرة هى أيضاً، رغم أن سنها لم تكن قد جاوزت العشرين عاماً.

حذرها أبوها من عبدالوهاب!!

كانت ليلى (بكسر اللامين) ـ وهو اسمها الحقيقى ـ تنعم بجمال الصوت ورخامة النبرات منذ طفولتها، حين كانت تقلد أم كلثوم في عصرها الذهبى، بعد أن زحفت أم كلثوم خلال فترة وجيزة من ظهورها إلى قمة الغناء العربى، واستطاعت أن تزيح من عليها منيرة المهدية التى كانوا يلقبونها باسم «سلطانة الطرب».

وتربعت أم كلثوم على عرش الغناء رغم مزاحمة عدد من المطربين لها، مثل فتحية أحمد ونجاة على، بل منيرة المهدية التى لم تستسلم بسهولة لهذه الفتاة القادمة من أعماق الريف.

ولم يكن أمام ليلى مراد - على حداثة سنها - إلا تقليد أم كلثوم؛ لتثبت لسامعيها مقدرتها الفذة على الأداء الصعب والتطريب.

وحين استمع أمير الشعراء أحمد شوقى - الذى كان صديقاً للوالد زكى مراد - إلى صوت الآنسة ليلى، رأى فيها مطربة عظيمة تبحث عن فرصة لتحقيق ذلك ـ فقدمها إلي عبدالوهاب الذى كان يلقب بمطرب الملوك والأمراء، فقرر أن يتبناها فنياً، ويرتقى بها سلم المجد والشهرة.

أقام عبدالوهاب حفلاً غنائياً خاصاً على أحد مسارح القاهرة دعا إليه

عدداً من نجوم الفن والصحافة بالمجتمع، ليستمعوا فيه إلى اكتشافه الجديد (ليلى مراد) التى خرجت من هذا الحفل مطربة يتحدث عنها الجميع.

لم يكن الميكروفون قد ظهر بعد، حين وقفت ليلى مراد لتواجه جمهورها لأول مرة فغنت بصوتها الطبيعى دون تجميل أو خداع «تقنى» وكانت إمكاناتها الصوتية - على صغر سنها - تمكنها من الوصول إلى قلوب مستمعيها دون معاونة خارجية أو إضافات مستعارة.

ظهرت ليلى مراد فى الفترة التى يسميها النقاد بالعصر الذهبى للغناء العربى الأصيل، فإلى جانب أم كلثوم كانت هناك فتحية أحمد ونجاة على ورجاء عبده وجاءت هذه الشابة الصغيرة لتبحث لها عن مكان بجوار هؤلاء العظيمات على قمة الغناء.

وخلال فترة وجيزة من عمرها الفنى أصبحت ليلى مراد هى الأكثر غناءً فى الإذاعات الأهلية، التى كان يملكها بعض الأفراد قبل أن تهيمن الحكومة عليها، وتفتتح دار الإذاعة الحكومية رسمياً.

ولما كان محمد عبدالوهاب أكثر المؤمنين بموهبتها وجمال صوتها فقد رشحها للقيام بدور البطولة أمامه فى فيلم «يحيا الحب» من إخراج محمد كريم ـ لم يكن عبدالوهاب فى ذلك الوقت هو مطرب الملايين فقط بل كان فتى الشاشة الأول دون مزاحم - ولهذا كان ظهور ليلى مراد معه وهى لا تزال فى بداية مشوارها الفنى فرصة تمنتها الكثيرات من مشاهير الغناء والتمثيل.

تحذير أبوى

وحين علم والدها زكى مراد باختيار عبدالوهاب لها لتشاركه البطولة والغناء فى فيلمه الجديد رأى أن يحذر ابنته من التعامل الفنى مع عبدالوهاب، فبينما كانت ليلى تنظر إلى مشاركة عبدالوهاب على أنها فرصة عمرها الذهبية لتحقيق النجومية والشهرة كان والدها المحنك ينظر للمسألة من زاوية أخرى؛ فقد يبخل عليها عبدالوهاب بألحانه الجميلة ويستأثر بها لنفسه، بينما يقدم لليلى الألحان الأقل جمالاً حتى لا تسرق منه إعجاب الجماهير وحبهم.

وكان زكى مراد محقاً فى تخوفه ذلك، فقد كان لمحمد عبدالوهاب سوابق

مع منيرة المهدية وغيرها تؤكد ذلك دون شك. وذلك حين طلبت منه منيرة المهدية عام ١٩٢٦، أن يكمل لها تلحين مسرحية «كليوباترا» التى كان سيد درويش قد لحن منها الفصل الأول فقط قبل أن يموت ـ وحين فعل عبدالوهاب ذلك استأثر لنفسه بأجمل الألحان المسرحية وأعذبها ولم يترك لمنيرة المهدية غير الفتات من ألحانه الجميلة.

وبعد انتهاء المسرحية كل ليلة كان المشاهدون يخرجون ليتحدثوا عن روعة عبدالوهاب وجمال ألحانه، بينما كانت سلطانة الطرب أقل حظاً من إعجاب الجمهور وتصفيقه، وكانت هذه «الحادثة» حديث النقاد والمهتمين لفترة طويلة.

كان محمد عبدالوهاب فى ذلك الوقت لايزال مطرباً صاعداً لم يشد إليه اهتمام الكثيرين، وكان لا يزال يبحث لنفسه عن فرصة أمام فطاحل الغناء والموسيقى. فكان طبيعياً أن يجد فى وقوفه أمام منيرة المهدية التى كانت تتربع على عرش الغناء والطرب فرصته الذهبية التى ظل ينتظرها طويلاً ليثبت أقدامه ويرسِّخ مكانته على حساب المطربة المصرية الكبيرة، أما وقد أصبح – الآن – مطرب مصر الأول وبلبل الشرق وكروانه بلا منازع ـ فلم يعد فى حاجة لعمل «حركات» من هذا النوع، بل إنه أصبح الآن يسعى للعب دور الأستاذ وراعى المواهب ومكتشف النجوم، ولهذا فإنه لن يبخل على ليلى مراد بأعذب الألحان وأجملها.

لقد فهمت ليلى مراد الأمر على هذا النحو الذى فات والدها المخضرم أن يفهمه على طريقتها، وهى التى لم تزل صغيرة وفى بداية المشوار.

نجمة متألقة

وقد صدق حدس الصغيرة ليلى مراد، فحينما سمع عبدالوهاب بأن زكى مراد يبحث لابنته عن ملحنين غيره ليلحنوا لها أغنياتها التى ستشاركه بها فى فيلمه الجديد، أصر على أن يقوم هو وحده بتلحين تلك الأغنيات، وأن يقدم لليلى أعظمها وأجملها حتى وإن اضطر هو للتوارى أمامها.

وافق زكى مراد أخيراً، خصوصا أن السينما تعتمد على الميكروفون الذى يساعد على إظهار الصوت بجميع طبقاته – فصوت ليلى سيصل إلى

المستمعين جميلاً وصافياً مهما حاول عبدالوهاب خنقه أو حصره فى طبقات خافتة.

- تألقت ليلى مراد وأصبحت النجمة الأكثر تألقاً، والأكثر طلباً من عشاق السينما والجماهير.

مثلت وغنت فى ٢٧ فيلماً فى الفترة من ١٩٣٨ إلى عام ١٩٥٥.. فبعد فيلم «يحيا الحب» شاركت يوسف وهبى فى فيلم «ليلى بنت الريف» من إخراج المخرج اليهودى المصرى «توجو مزراحى»، وكانت هى المرة الأولى فى تاريخ السينما المصرية - وربما العالمية أيضا - التى يحمل الفيلم اسم البطلة.. وكان «ليلى بنت الريف» هو الأول فى مسلسل الأفلام التى تحمل اسم «ليلى مراد»، فقد لعبت بعده دور البطولة أمام يوسف وهبى أيضا فى فيلم «ليلى بنت مدارس» من إخراج توجو مزراحى أيضا الذى أخرج لها بعده فيلم «ليلى» أمام حسين صدقى، وهو مأخوذ عن قصة «غادة الكاميليا».

وقد كتب الناقد السينمائى صلاح طنطاوى عن أداء ليلى مراد: «من المعروف للجميع أن ليلى مراد إنسانة جميلة، رقيقة، كل ما فيها يوحى بالوداعة والرقة والحياء تماماً مثل «مارجريت جوتييه» وكانت ليلى مراد فى قمة شبابها وجمالها ونضجها الفنى والأنثوى حينما مثلت الدور على يد المخرج العبقرى توجو مزراحى، أذابت نفسها فى الأداء، فنجحت - فيه وفى رأيى إلى أقصى حدود النجاح - ولذلك فإن ليلى مراد فى دور مارجريت كانت أنسب للدور من الممثلة العالمية «جريتا جاربو».

مرحلة جديدة

وكان آخر فيلم مثلته ليلى مراد مع المخرج توجو مزراحى هو «ليلى فى الظلام» الذى شاركها البطولة فيه حسين صدقى عام ١٩٤٤، قبل الدخول فى مرحلة أنور وجدى الذى لم يكتف بالتمثيل أمامها لأدوار البطولة، بل كان يخرج أفلامه معها بنفسه قبل أن يتزوجها فيما بعد، وعلى طريقة توجو مزراحى فى اختيار أسماء أفلامه كان أول فيلم لها مع أنور وجدى هو «ليلى بنت الفقراء» ثم «ليلى بنت الأغنياء» عام ٤٦، ولكن فى عام ٤٧ وفى فيلمها الثالث رأى أنور وجدى أن يغير من أسماء أفلامه لليلى مراد

فكان فيلم «قلبى دليلى» الذى حمل عنوان أغنيتها الشهيرة ثم كان فيلم «عنبر» عام ١٩٤٨.

أراد أنور وجدى إشراك عدد من كبار الفنانين إلى جانب زوجته فى فيلمه الجديد «غزل البنات» فاختار أعظم ممثلى الكوميديا نجيب الريحانى وسليمان نجيب وعبدالوارث عسر وغيرهم، وبعد الانتهاء من تصوير الفيلم بوقت قصير توفى نجيب الريحانى فجأة وعرض الفيلم يوم ١٩٤٩/٩/١٦ فشهدت السينما أكبر زحام تشهده طوال تاريخها حين احتشدت الجماهير لترى نجيب الريحانى فى آخر أفلامه.

وفى عام ١٩٥٢ رأت ليلى مراد بذكائها الفطرى أن تغير البطل الذى يمثل أمامها فكان آخر فيلم تمثله مع أنور وجدى هو فيلم «بنت الأكابر» وكانت ليلى مراد قد مثلت مع كل نجوم السينما من الأبطال، فمع أحمد سالم الذى كان يلقب بـ«دون جوان» مصر والسينما العربية مثلت «الماضى المجهول» عام ١٩٤٦ ومع يوسف وهبى مثلت «غزل البنات»، ثم «ضربة القدر» وهو فيلم ميلو درامى من النوع الذى تخصص فيه وبرع يوسف وهبى، وفى عام ١٩٤٩ مثلت مع محمد فوزى وهو أفضل المطربين مقدرة على التمثيل بإجماع النقاد، وكان فيلم «المجنونة» للمخرج حلمى رفلة، وفى عام ١٩٥٢ مثلت من إخراج يوسف شاهين فيلم «سيدة القطار» وفى عام ١٩٥٤ مثلت فيلم «الحياة حب» من إخراج سيف الدين شوكت، وفى عام ١٩٥٥ قدمت ليلى مراد آخر أفلامها وهو «الحبيب المجهول» من إخراج حسن الصيفى.

مسلمة وعربية

كان الجميع يعرفون ليلى مراد على أنها مطربة يهودية الديانة، ولكنها مصرية الجنسية، وفى عام ١٩٤٦ أشهرت ليلى مراد إسلامها حينما تزوجت أنور وجدى، ولكى تثبت أنها اختارت التحول إلى الإسلام عن قناعة وليس لمجرد الزواج من رجل مسلم غنت أشهر الأغنيات الدينية فى الأربعينيات بل ولا تزال من أشهرها حتى اليوم وهى أغنية «يا رايحين للنبى الغالى» التى تعتبر من أغانى الحج، وفيها تتمنى ليلى مراد أن يكتب الله لها زيارة النبى الغالى.

وحين ظهرت مشكلة فلسطين على سطح الحياة السياسية فى مصر، ترقب الجميع موقف ليلى مراد، ومع من ستكون واختارت ليلى مراد أن تكون مع مصر وفلسطين، وظهر فيلم «شادية الوادى» وفيه استعراض لقضية فلسطين، وقد بدا فى الفيلم تعاطف ليلى مراد الواضح مع قضية فلسطين.

ولم تكتف ليلى مراد بذلك بل قامت بإنتاج فيلم «الحياة حب» وهو الفيلم الوحيد الذى مثلت فيه من إنتاجها وبأموالها لتؤكد موقفها من القضية الفلسطينية، حين قامت بدور ممرضة فى مستشفى لرعاية الضباط الجرحى العائدين من حرب فلسطين، ومن بينهم ضابط تحبه، بينما كان هناك طبيب من زملائها بالمستشفى يحبها، وقد أملى عليه الواجب أن ينقذ غريمه الضابط الجريح من الموت، وبذلك أكدت ليلى مراد بما لم يدع مجالا لأى شك أنها مصرية عربية قبل أن تكون يهودية لم تتخل عن ديانتها وتختر الإسلام ديناً إلا عن اقتناع وحرية.

تقول الدكتورة رتيبة الحفنى عن صوت ليلى مراد: «إنه صوت فريد من نوعه ذو بحة خفيفة «خفيف الحركة يمكن تطويعه لأى نوع غنائى مطلوب».

وقد استثمرت ليلى مراد صوتها استثماراً ناجحاً فى أفلامها السينمائية - والتزمت فى كل أغانيها بتقديم الأغنية السينمائية، ورفضت الظهور فى المسرحيات الغنائية، ولم تقف ليلى مراد على المسرح إلا مرتين، كانت الأولى فى بدء حياتها الفنية وفى حفل خاص حضره النقاد والمهتمون لتقدم نفسها لهم.

أما المرة الثانية والأخيرة فكانت فى أوائل الخمسينيات حين غنت أغنيتها المشهورة «الحب جميل» ورغم نجاحها الكبير إلا أنها لم تكرر التجربة، واكتفت بالغناء أمام الكاميرا السينمائية فقط.

وقد شاركت ليلى مراد كبار المطربين والممثلين فى ديالوجات غنائية سينمائية مع شكوكو وإسماعيل يسن وعزيز عثمان وإلياس مؤدب فى أغنية الحبيب المجهول وديالوج «عينى بترف» مع نجيب الريحانى و«شحات الغرام» مع محمد فوزى و«الجو راق» مع محمد عبدالوهاب فى فيلم «يحيا الحب».

احتجاب النجمة

وفى أواسط الخمسينيات وبينما كانت فى أوج نضجها الفنى وشهرتها، اختارت ليلى مراد أن تتوارى محتجبة عن الغناء والتمثيل، وقد احتار النقاد ومعجبوها فى تفسير ذلك، فمن قال حزناً على وفاة زوجها أنور وجدى، ومن قال بسبب تقلبات المناخ الفنى، ومن قال إنها أرادت التفرغ لتربية أبنائها والعيش فى ظل حياة هادئة بعد أن جربت صخب الحياة الفنية وضوضاء الأضواء والشهرة منذ ان كانت فى ريعان الصبا، وحتى أصبحت على مشارف الأربعين من عمرها.

وقد اشتهرت ليلى مراد طوال تاريخها الفنى الذى استمر لأكثر من ربع قرن دون انقطاع بالوداعة والمسالمة، فقد لحن لها كمال الطويل أغنية «ليه خلتنى أحبك» لتغنيها فى فيلم «الحبيب المجهول» وهو آخر أفلامها فى السينما، ولكنها فوجئت بالمطربة نجاة التى كانت لا تزال «صغيرة» تقوم بتسجيلها بصوتها فى الإذاعة وأخذت الإذاعة تردد الأغنية بصوت نجاة - وكأنها نسيت أنها أغنية ليلى مراد فى الأساس، وقد أثر ذلك على نفسية ليلى مراد حتى قيل إنها اعتزلت الغناء والتمثيل بسبب هذا الموقف. تزوجت ليلى مراد ثلاث مرات، وأنجبت ولدين وكان أنور وجدى هو أول أزواجها ولم تنجب منه، ثم تزوجت من وجيه أباظة وهو أحد الضباط الأحرار، وكان قائدا لكتائب الفدائيين التى تكافح ضد قوات الاحتلال الإنجليزى بمنطقة القناة قبل الجلاء عن مصر، ثم عين محافظاً للبحيرة والقاهرة، وقد أنهى السادات مستقبله السياسى بالقبض عليه ضمن من أسماهم بمراكز القوى فى مايو عام ١٩٧١، وبعدها اختفى وجيه أباظة من الحياة السياسية ودخل مجال العمل الخاص، بعد ان حصل على توكيل إحدى الشركات الفرنسية لصناعة السيارات.

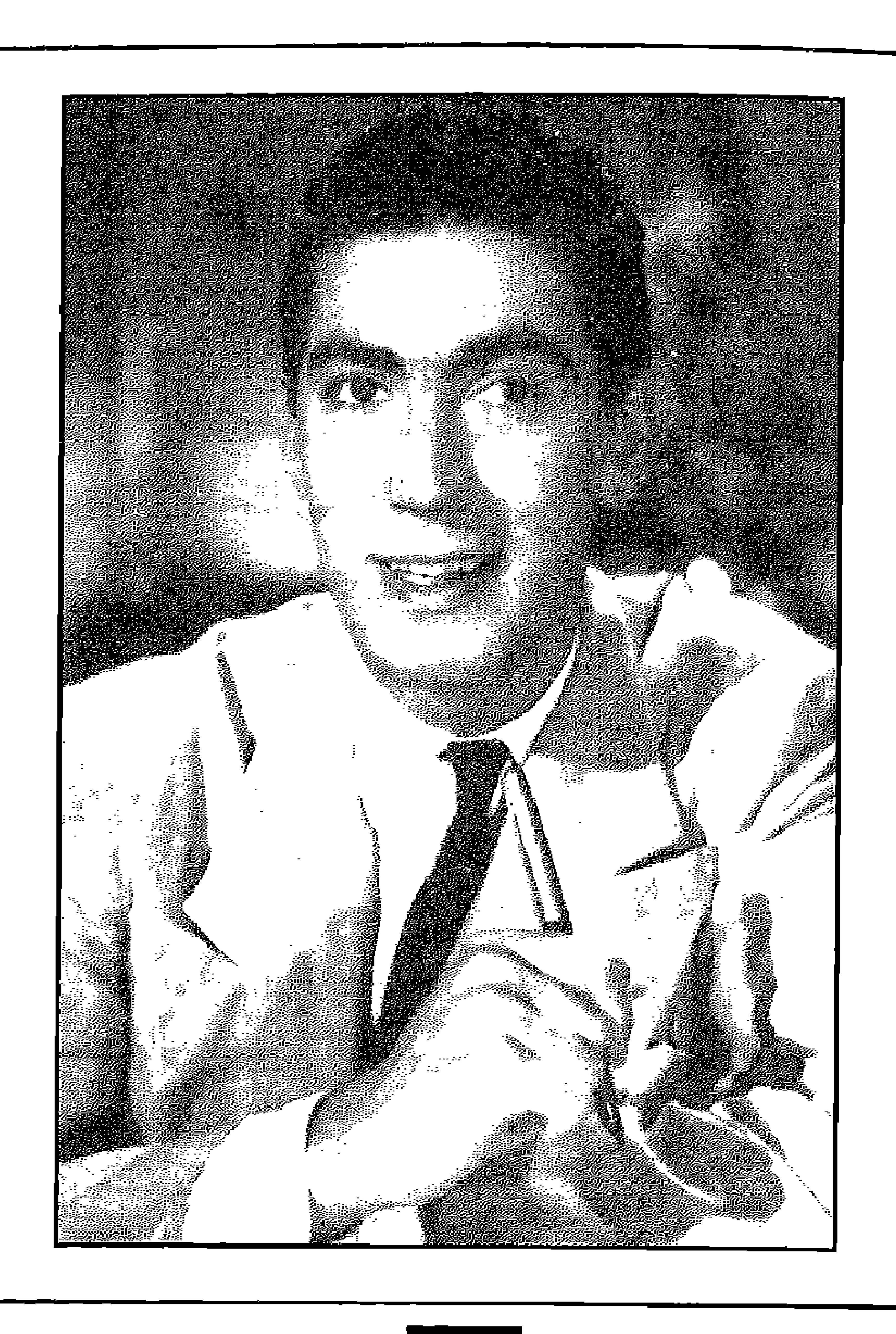
ومن وجيه أباظة أنجبت ليلى مراد ابنها أشرف، ثم تزوجت من المخرج السينمائى فطين عبدالوهاب وأنجبت منه ابنها زكى الذى أسمته على اسم والدها، وهو الآن مخرج سينمائى لا يزال فى بداية مشواره الفنى.

اختفت ليلى مراد عن الأضواء للتفرغ لتربية أبنائها فى وقت كان لديها فيه معجبون بالملايين، وقد كان فى استطاعتها أن تجمع بين الأمومة والفن، ولكن

كانت تفضل أن تكون أماً، و«ست بيت» بعد أن شبعت فناً وشهرةً، وقد عرض عليها العودة إلى السينما مرة أخرى، ولكن جميع المحاولات - على كثرتها - باءت بالفشل ولكنها وافقت أخيرا على أن تظهر عدة دقائق فى أول الأفلام السينمائية التى يقوم ابنها زكى فطين عبدالوهاب بإخراجها - ويقف الجميع ترقباً للحظة التى يرون فيها ليلى مراد على الشاشة الفضية مرة أخرى - فهى مطربتهم المحبوبة والمحترمة، ولا تزال المطربة المفضلة لدى عشاق الطرب الأصيل.

«رحم الله ليلى مراد التى عاشت مصرية وماتت مسلمة ودفنت فى مقابر المسلمين حسب وصيتها لأبنائها».

8



منير مـــراد

● بدأ حياته بائعاً للبطاطس والجبنة وأمواس الحلاقة!

● يلحن عناوين الصحف ليثبت قدرته على التلحين!

● جواز سفر مغربى .. كبرى المفاجآت بعد موته!

● لماذا لم يلحن أغنية وطنية واحدة .. ناجحة؟!

ولد منير مراد بالإسكندرية عام ١٩٢٨، وأمضى فيها الخمسة عشر عاماً الأولى من حياته، كان اسمه «موريس» ولكنه غيره إلى «منير» حين قرر العمل فى الحقل الفنى، كما قيل إنه غير ديانته معتنقاً الإسلام عند زواجه من الفنانة سهير البابلى.

بدأ «موريس» حياته بائعاً للجبن والصابون وأمواس الحلاقة ثم انتقل ليعمل مساعداً فى التصوير السينمائى فى أفلام المخرج اليهودى السكندرى «توجو مزراحى» الذى استشعر فيه بعض المواهب الفنية فاختاره ليعمل مساعد مخرج له.

بعد توجو مزراحى عمل «موريس» مساعداً لمخرجين كثيرين، منهم كمال سليم، وحسن الصيفى، وفطين عبد الوهاب، وأحمد بدرخان، وأنور وجدى.

وبعد أن تزوج أنور وجدى من شقيقته ليلى مراد اختاره مديراً لمكتبه عام ١٩٤٦ ثم مساعداً له فى الاخراج فساعد أنور وجدى فى ٢٤ فيلماً من اخراجه، وقد بلغت حصيلة الأفلام التى ساعد موريس مراد فى اخراجها أكثر من ٣٥٠ فيلماً لكبار المخرجين فى مصر.

وحين كان «موريس» لا يزال يعمل بالتجارة أغرى أنور وجدى بمشاركته فى تجارة البطاطس وأمواس الحلاقة التى درت عليهما ربحاً وفيراً.

وبعد نجاحه فى إقناع أنور وجدى بمواهبه التجارية كان عليه أن ينجح فى إقناعه بمواهبه الموسيقية، وفعلاً أسند إليه أنور وجدى تلحين أغنية «واحد اتنين» لتغنيها شادية فى فيلم «ليلة الحنة» ونجح الفيلم وكان نجاح الأغنية أكبر، فقرر منير مراد اعتزال التجارة والتفرغ تماماً للموسيقى والتلحين.

قدم منير مراد عدداً من الألحان الناجحة لعدد كبير من مشاهير الغناء والتمثيل منهم صباح وشادية وعبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة وشريفة

فاضل، ومع ذلك لم تغن له شقيقته ليلى مراد سوى أغنية واحدة تعتبر من أشهر أغنياتها على الإطلاق وهى أغنية «أنا زى ما أنا.. وأنت بتتغير» وكان ذلك بمثابة أول اعتراف منها كمطربة كبيرة بموهبة شقيقها فى التلحين، يقول منير مراد عن بداياته الأولى - إن المرحوم أحمد سالم - وهو الممثل المشهور الذى كان يلقب بـ«دون جوان مصر» والذى كان أول مدير لاستديو مصر - هو الذى اقترح عليه أن يمثل ويرقص ويغنى ويلحن بعد أن سمعه يلحن «مانشيتات الصحف» لإثبات قدرته على تلحين أى كلام يقدم له.

قدمه أحمد سالم للمخرج العبقرى كمال سليم رائد الأفلام الواقعية فى السينما العربية، ليساعده فى إخراج فيلم «قضية اليوم» الذى مثله أنور وجدى وعقيلة راتب.

كان منير مراد حتى تلك الفترة يميل للتمثيل أكثر من ميله للإخراج، ولهذا فقد ظهر ممثلاً ومطرباً وراقصاً فى أفلام كثيرة، ولم يظهر كمخرج فى فيلم واحد ولكن مواهبه الموسيقية غلبت عليه بعد ذلك فاشتهر وذاع صيته كملحن أكثر من شهرته كممثل أو سينمائى.

وكان منير مراد يعتبر نفسه ملحناً محترفاً وممثلاً هاوياً انفرد بلون معين من الأدوار الاستعراضية التى تناسب برامج المنوعات التليفزيونية أكثر من السينما أو المسرح ولو كان التليفزيون قد ظهر فى البدايات الأولى لظهور منير مراد لكان له شأن آخر أخطر بكثير من شأنه الذى كان له، رغم شهرته الواسعة وقيمته الفنية الرفيعة كملحن وموسيقى.

مطرب وراقص

وقد اشتهر منير مراد بأداء الأغنيات الاستعراضية الراقية، وقد انفرد بتقديم هذا اللون الذى لم يقو أحد على منازعته فيه، كما اشتهر بتقليد المطربين والمطربات وهو أول من قدم «اسكتشات» من هذا النوع فى تاريخ السينما العربية، ويعتبر اسكتش «ماحدش شاف» الذى يقلد فيه فريد الأطرش وعبد الوهاب وعبدالمطلب وآخرين أشهر ما قدم فى هذا المجال.

وعن الفرق بينه وبين المنولوجست قال منير مراد: «إن المنولوجست يلقى المونولوج المضحك، أما ما أقدمه أنا فهو عبارة عن استعراضات تتطلب

الحركة فيها مصاحبة الموسيقى، وهذه الاستعراضات تتضمن الرقص والموسيقى والتمثيل الصامت والمعبر أيضاً.. وهذا اللون جديد على الفن العربى، ولم يدرس حتى اليوم، لأننا نعيش بلا مسرح استعراضى، وأعتقد أن مجال هذا اللون من الفن سيكون فى التليفزيون.

وقد بدأ منير مراد التلحين بسرقة ألحان والده زكى مراد، وحين فشلت الأغنية التى سرق لحنها من والده ذهب إلى قبره يضع باقة من الورد، ويطلب منه السماح واعداً إياه بأنه لن يعود إلى سرقة ألحانه مرة أخرى!!.

هو وسهير

تزوج منير مراد من الممثلة سهير البابلى التى شاركت عبد الحليم حافظ وعبد السلام النابلسى وزبيدة ثروت فى أغنية «ضحك ولعب وجد وحب» التى لحنها منير مراد فى فيلم «يوم من عمرى» وكانت سهير البابلى من أشهر ممثلات المسرح القومى، ولكنها قليلة الاشتراك فى أعمال السينما، ولهذا كانت أقل شهرة من زميلاتها وإن كانت أكبر منهن موهبة وقدرة، وقد طالبها منير مراد باعتزال المسرح والاتجاه إلى السينما والتليفزيون لتصبح أكثر شهرة وأوفر دخلاً أيضاً، فكان منير مراد يكره المسرح ويعتبره «مقبرة المواهب» ولكن سهير كانت تعارضه معتبرة المسرح مدرسة المواهب وليس مقبرتها.

ولكنه قال إن دخل الممثلة المسرحية محدود لا يتناسب مع المظهر الذى يجب أن تبدو عليه، وقد كانت سهير البابلى تذهب كل ليلة إلى الكوافير قبل أن تظهر على خشبة المسرح لتمثل دورها ومرتبها من المسرح لم يكن يغطى مصاريفها كممثلة، فكانت تعتمد عليه فى ذلك الأمر، مما أصابه بالضيق والتبرم فطالبها باعتزال المسرح والتفرغ للسينما والتليفزيون حيث العائد أكبر والمصاريف أقل.

أغنية كاريكاتيرية

يقول منير مراد عن أغنياته: «إن أية أغنية يلحنها تأخذ شكلاً كاريكاتيرياً، حيث إن يشاهدها يجد شيئاً جديداً ولحناً بأسلوب وفكرة جديدة».

وكان منير مراد يلحن وفى ذهنه أن الأغنية تُرى كما تُسمع، فقد كان يلحن

أغنيات تؤدى فى مشاهد سينمائية، وقد وضع التشكيل الكاريكاتيرى الذى يعنيه منير مراد فى أغنية «ضحك ولعب وجد وحب» التى غناها عبد الحليم حافظ، خصوصاً فى المقطع الذى يردده الممثل الكوميدى عبد السلام النابلسى ويقول فيه: «قلت يا قلبى حب كمان، وانسى زمان وليالى زمان» فكان عبد السلام النابلسى يقول عبارة: ليالى زمان بشكل يذكرنا بأغنيات زمان من أدوار وتواشيح.

والحقيقة أن منير مراد انتقل بالأغنية العربية خطوات واسعة نحو التعبيرية، وخلصها من التطريب الذى كانت تتميز به مع غيره من الملحنين، والذى يسمع مقدمته لأغنية «شبكنا ستايره حرير» للمطربة شادية تكاد تلفحه نسمة الهواء التى صورها موسيقياً بعبقرية فذة فكانت موسيقاه تصويرية وتعبيرية أكثر من مجرد موسيقى مصاحبة للكلمات.

وتعتبر شادية أوفر حظاً من ألحان منير مراد، وقد غنت لغيره من كبار الموسيقيين والملحنين، ولكن ألحان منير مراد كانت أشهر أغنياتها وأجملها على الإطلاق، فكان صوتها هو الأنسب الأصوات لألحانه التى كانت هى الأخرى أنسب الألحان وأكثرها ملاءمة لصوت شادية الخفيف.

ويعتبر منير مراد هو مكتشف المطربة شادية التى غنت له أولى أغنياتها «واحد اتنين» فى فيلم ليلة الحنة، كما غنت له أغنيات كثيرة ومشهورة منها «يا دبلة الخطوبة» و«أبيض يا ورد لونك مندى» «ويا حبيبى عدلى تانى» التى يعتقد من يسمعها أنها أغنية سودانية، وأن شادية ليست هى شادية المطربة المصرية المشهورة ولكنها مطربة سودانية.. فقد استخدم منير مراد فى تلحين هذه الأغنية «أرتاما» وآلات موسيقية من النوع الشائع فى الأغنيات السودانية الشهيرة، وقد نجحت الأغنية نجاحاً ساحقاً أثبتت قدرة منير مراد على تقليد الألحان بعد أن أثبت هو نفسه قدرته على تقليد الأصوات العربية، إذ كان يتمتع بطبقات وتضاريس نادرة استغلها فى تقليد المطربين الآخرين ليثبت أنه لم يكن يقل عنهم مقدرة على الغناء والتطريب، ولو كان منير مراد قد استغل هذا الصوت فى أغنيات خاصة به، لكتب لنفسه شهادة ميلاد كمطرب كبير لا يقل عن أى مطرب كبير كان يقلده.

فاشل.. ولكن!

ولم يكن منير مراد مجرد ملحن أو ممثل أو راقص فحسب، بل كان - فوق ذلك كله - أديباً وقصاصاً، فكان يكتب قصص أفلامه بنفسه، كما كان يتدخل فى كتابة الأغنيات التى يلحنها للمطربين وكثيراً ما كان يضيف أو يحذف أو يعدل لتستقيم له الكلمات وتطوع لموهبته الموسيقية.

وكان مراد منير مراد صاحب موهبة تلحينية فذة، وقد أراد أن يثبتها حين راح يلحن «مانشيتات الصحف» وعناوين الأخبار فى التليفزيون مؤمناً بأنها أفضل وسيلة لتوعية الجماهير، فالكلمة الموسيقية أقدر على النفاذ إلى القلب والعقل من الكلمات المجردة.

ومنير مراد لم يدرس الموسيقى فى أحد المعاهد أو المدارس الموسيقية ولكنه تلقى مبادئ الموسيقى على يدى والده الملحن المعروف زكى مراد، كما تلقى تدريبات على يد البروفيسور «ماريوزينو» والموسيقار المشهور «أندريا رايدر».

وقد كان «موريس مراد» طالباً فاشلاً أنهى تعليمه الأولى فى مدارس «الخرنفش» والليسيه الفرنسية ولم يجد فى نفسه ميلاً للتعليم، فترك المدرسة ليعمل بالتجارة.

كان أول ألحانه لتحية كاريوكا من كلمات أبو السعود الإبيارى بعنوان «ما قال لى وقلت له» وقد غنتها تحية كاريوكا فى أول فيلم مثلته، ولما فشلت الأغنية بألحان منير مراد باعها مؤلفها أبو السعود الإبيارى لفريد الأطرش ليغنيها فى فيلم «حبيب العمر» وقامت معركة بين فريد الأطرش وتحية كاريوكا أخذ منير مراد يراقب تفاصيلها من بعيد.

..وممثل أيضاً

وفى سنة ١٩٥٤ تطلع منير مراد لأن يكون نجماً سينمائياً فقد كان يتمتع بكل المقومات التى تؤهله لذلك فأتاح له شقيقه إبراهيم الفرصة، وشاركه فى إنتاج فيلم «أنا وحبيبى» أمام شادية من إخراج التلمسانى، وقد كتب منير مراد قصة الفيلم بنفسه كما وضع كل ألحانه التى غنتها شادية أو التى شاركها هو الغناء فيها، كما عمل منير مراد مساعداً للمخرج التلمسانى فى هذا الفيلم، وهى مهنته القديمة التى بدأ بها دخول الحقل الفنى مع توجو مزراحى، وكمال سليم وحسن الصيفى وآخرين.

وقد حقق هذا الفيلم نجاحاً، كما حقق أرباحاً طائلة أغرت منير مراد بمعاودة التجربة فى فيلم آخر، فكان فيلم «نهارك سعيد» من إخراج فطين عبدالوهاب الذى تزوج شقيقته ليلى مراد، ولكن الفيلم فشل ولم ييأس منير مراد فذهب مع الفيلم فى رحلة تسويقية إلى دول المغرب العربى فحقق الفيلم من الأرباح مالم تحققه خمسة أفلام فى مصر!.

ثم عاد منير مراد إلى الإنتاج فقام بإنتاج ثلاثة أفلام أخرى فشلت جميعها، وضاعت كل أرباحه من فيلميه السابقين.

وأثبت منير مراد فى فيلميه اللذين مثلهما أنه أقدر من يقوم بأداء الأدوار الاستعراضية التى تجمع بين الموسيقى والرقص والتمثيل والغناء حتى أطلق عليه النقاد لقب «دانى كاى» المصرى فكان منير مراد جديراً بهذا اللقب بحق.

وكان منير مراد يقوم بتفصيل اللحن على صوت المطرب أو المطربة فجاءت ألحانه «صوت وصورة» بحيث لا تصلح الأغنية إلا للمطرب أو المطربة التى وضعت من أجله أو من أجلها.

وإذا كان محمد فوزى هو أشهر من أدى الأغنية السينمائية فى رأى غالبية النقاد، فإن منير مراد هو أقدر وأشهر من أدى الأغنية الاستعراضية بإجماع الآراء.

وحين بلغ منير مراد قمة شهرته ومجده كملحن كانت أم كلثوم قد بلغت قمة المجد والشهرة كمطربة، وحين قبلت كوكب الشرق التعامل مع الملحنين الشبان فى ذلك الوقت، مثل بليغ حمدى ومحمد الموجى وكمال الطويل أغرى ذلك قرينهم منير مراد بأن يطلب من أم كلثوم تقديم لحن له، ولما كانت ألحان منير مراد الخفيفة لا تناسب صوت أم كلثوم الدسم فقد اقترح عليها أن تغنى لحناً من ألحانه بين الوصلات الدسمة التى تقدمها على المسرح فوعدته بالتفكير فى الأمر، ولكن يبدو أنها لم تقتنع تماماً بالفكرة.

الوطن والوطنية

وتقديراً لإسهاماته العظيمة فى مجال التلحين والغناء قررت الدولة تكريم منير مراد، فمنحه الرئيس جمال عبدالناصر وسام الفنون والعلوم عام ١٩٦٦ فى احتفال عيد العلم الذى كان عبدالناصر يكرم فيه النوابغ من العلماء والفنانين والكتاب.

وعلى الرغم من تكريم الدولة له، ورغم مقدرته الموسيقية الفذة فإن منير مراد لم يقدم لحناً وطنياً واحداً فى شهرة أقل ألحانه العاطفية شهرة، وقد قدم الملحنون المصريون - دون استثناء واحد - أغنيات وطنية كتب لها الذيوع والانتشار، ولكن منير مراد قد تخلف عنهم جميعاً فى هذا المجال، ورغم أنه قدم بالفعل كثيراً من الألحان الوطنية فى أعياد الثورة والمناسبات الوطنية المختلفة، ومنها انتصار أكتوبر ورغم ذلك فإن لحناً واحداً منها لم يكن فى مستوى موسيقى منير مراد وشهرته فضلاً على مستوى المناسبة ذاتها.

ويبرر منير مراد ذلك فيقول «إن ٦ أكتوبر حدث ضخم، إنه تغيير فى حركة التاريخ لأننا فى يوم ٦ أكتوبر تقدمنا أكثر من مائة عام، ولكن كل ماقدمناه من أغان فى هذه المناسبة لا يرقى إلى عظمة الحدث وضخامته، ولا تعدو أن تكون مجرد زغاريد تعبيراً عن الفرحة.. لأننا لم نسمع أغنية تصور بطولات المقاتلين فى اقتحام خط بارليف.. وهو مايعنى أن انفعال الجمهور كان أكبر، وأن الجمهور كان لديه الاستعداد لتذوق هذا اللون وأنه تجاوب مع المعركة تجاوباً كاملاً، وهذا التجاوب كان يقتضى منا الكثير.. أكثر مما قدمنا، والأغنية التى لا تكون فى قوة الجيش وعلى مستوى أدائه الرفيع، ويرددها كل أفراده لا تصلح لأن تكون أغنية وطنية»!.

وقد لحن منير مراد بالفعل عدداً من تلك الأغنية التى «لا تصلح أن تكون أغنية وطنية»!.. منها «يارايحين لصحراء سيناء»، و«لو لم أكن مصرياً» لأخته ليلى مراد، وأغنية و«حياة مصر» لشريفة فاضل، و«وتم الجميل يا أصيل» للكورال و«٦ أكتوبر» للبلبة، وكلها من النوع الذى لا يكتب له الذيوع والانتشار، لأن منير مراد لم يبذل فيها مايبذله عادة فى أغنياته العاطفية من مجهود وعناية.

مفاجأة

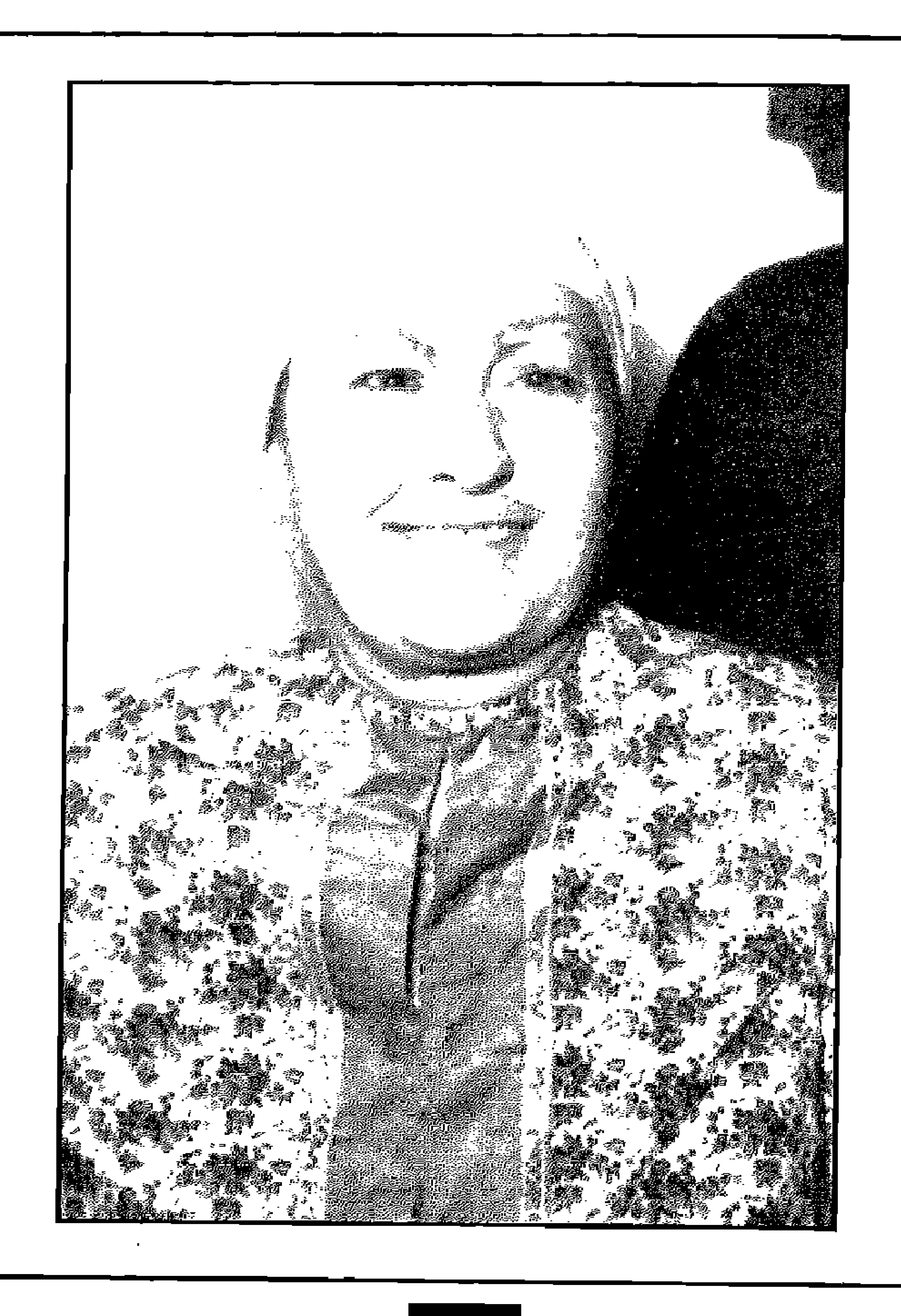
وقد توفى منير مراد عام ١٩٨١ عن عمر يناهز الثالثة والخمسين عاماً، وقد ثبت أن منير مراد لم يكن يتعامل مع البنوك، وليس له أى رصيد بها، وكان يحتفظ دائماً بأمواله فى منزله وقد عثروا على ٢٥٠ جنيها فقط فى حجرة نومه ساعة وفاته، كما أنه لا يملك سوى شقة فى شارع عدلى بوسط القاهرة ودخله من حق الأداء العلنى يقدر بحوالى ألف جنيه سنوياً.

وقد تزوج منير مراد ثلاث مرات، كانت الأولى من الفتاة الإيطالية «رينيه» التى أنجب منها ابنه «زكى» الذى يعيش فى أمريكا، وكانت الفنانة سهير البابلى هى زوجته الثانية التى طلقها، ثم عاد إليها أكثر من مرة قبل أن يطلقها نهائياً لتتزوج أحد تجار الذهب المشهورين بمصر.

أما الزوجة الثالثة التى اقترن بها منير مراد فكانت «ميرفت جودة» التى تزوجها قبل وفاته بعشرة أشهر فقط!!.

أما المفاجأة الكبرى التى اكتشفها المحيطون به بعد وفاته فهى أنه لم يكن يحمل هوية مصرية، أو أى مستند يدل على أنه مصرى، وأن جواز سفره الذى كان يحمله فى جيبه كان مغربياً منح له بموافقة الملك الحسن الثانى ملك المغرب!!.

9



نجمة إبراهيم

● مطربة .. كادت تزيح أم كلثوم عن عرشها !

● السادات يصعد على المسرح ليصافحها مهنئاً !!

● أشهرت إسلامها .. وتبرعت لتسليح الجيش المصرى !

● أديبة ومثقفة .. ووطنية من الطراز الأول !

من بين جميع الفنانات اليهوديات اللائى ظهرن فى سماء الفن المصرى.. كانت «نجمة ابراهيم» هى الفنانة الوحيدة التى ظهرت باسمها الحقيقى. فلم تضطر إلى تغييره، «ربما لأنه اسم مناسب لعالم الشهرة، ولا تشتم منه رائحة اليهودية، كما كانت أسماء الفنانات الأخريات..

يقول محمد شكرى فى كتابه «السجل المصرى للمسرح والسينما» عن نجمة ابراهيم: إنها كانت هاوية لفنها بالرغم من احترافها. عرفتها وهى فى سن التاسعة.. حيث كان من المفروض وقتها أن تكون مطربة.. وفعلاً كانت تلقى المقطوعات المطربة، والمنولوجات الاجتماعية الأخلاقية، وكانت تقابل بعاصفة من التصفيق والإعجاب.. وبعد مرور ثلاث أو أربع سنوات تغير الحال حيث رأيتها تعمل فى التمثيل، وخطت خطوات طيبة فيه لرشاقتها وخفتها واستعدادها الفطرى حتى أنها مالبثت أن وصلت إلى الصفوف الأولى كزميلة يقتدى بها.. وأخيراً رأيناها ممثلة فى الفرقة الموسيقية للتمثيل والموسيقى «بالمسرح القومى» نجمة تتلألأ فى سماء الفن، يختارها المخرج عند اختياره لممثلى روايته التى يعتزم إخراجها.. والمدهش أنه رغم إجادتها لأدوار الآنسات قد بدت وارتفعت فى أدوار الأمهات وكبار السن حتى أنها تخصصت فيها، ولا يمكن أن تنازعها فيها أى ممثلة، ولها أدوار خالدة فى كثير من المسرحيات مثل «أم قيس» فى مسرحية «قيس ولبنى» ومس تشيفللى فى «زوج كامل» وزبيدة فى «العباسة» وغيرها مما رقى بها فعمدها «ممثلة الجيل»، وقد سطع اسمها كذلك على الشاشة البيضاء فى أدوار البطولة النسائية فى قصتى «عودة القافلة» و«جلفدان هانم»..

والسيدة «نجمة» فوق كل ذلك من النابهات الذكيات والمثقفات تمتاز برشاقة القلم وأدبية العبارة، فقد كان لها مكانها فى الأدب إلى جانب مكانتها الفنية

المرموقة.. لقد كانت أحلام «نجمة ابراهيم» أن تكون مطربة مشهورة لها شهرة أم كلثوم فى عالم الغناء.. أو منيرة المهدية فى المسرح الغنائى.. ولكن موهبتها التمثيلية طغت على موهبتها الغنائية، فأصبحت ممثلة لامعة، وهى التى كانت تسعى لأن تكون شهرتها فى عالم الغناء أسطع وأوسع..

وعلى الرغم من كل ما شهد به زملاؤها ومعارفها من تمتعها بالرقة والمسالمة ودماثة الخلق وهدوء الطبع إلا أن نجمة إبراهيم قد شاء لها القدر أن تشتهر بأدوار الشر وتصبح «ملكة الشر» أو شريرة الشاشة العربية بعد أن قامت بدورها فى فيلمى «اليتيمان» و«ريا وسكينة» وتعتبر «نجمة إبراهيم» أشهر من قام بأدوار الرعب من الممثلات على الشاشة العربية بعد أدائها الرهيب فى هذين الفيلمين.

الفنانة الصغيرة

ولدت «نجمة إبراهيم» فى شهر فبراير عام ١٩١٤، وتوفيت عام ١٩٧٦ عن ٦٢ عاما قضت معظمها فى عالم الفن.

وقد تعلقت «نجمة إبراهيم» بالفن والحياة الفنية حين كانت تصاحب أختها الكبرى -غير الشقيقة- سرينا إبراهيم إلى بعض مسارح القاهرة حيث كانت تقوم بالرقص وببعض الأدوار الثانوية فى بعض الفرق المسرحية ولكنها لم تحظ بالشهرة نفسها التى حظيت بها أختها «نجمة» فتزوجت من الثرى اليهودى «سالم مزراحى» وغادرت الإسكندرية عام ١٩٥٤ لتعيش فى إسرائيل وبعض الدول الأوروبية.

اعتلت «نجمة إبراهيم» خشبة المسرح وهى فى التاسعة من عمرها، وقد تلقت دراستها فى بعض المدارس العربية والفرنسية، فأتقنت اللغتين قراءة وكتابة، كما حفظت أجزاء كاملة من القرآن الكريم، مما ساهم فى إتقانها اللغة العربية على نحو لم يتوفر للكثيرات من الممثلات فى جيلها.. تنقلت «نجمة إبراهيم» بين كثير من الفرق المسرحية التى كانت تنتشر فى شوارع القاهرة فى العشرينيات من القرن العشرين، مثل فرقة رمسيس وصاحبها يوسف وهبى وفرقة نجيب الريحانى، ومنيرة المهدية، فكانت تمثل كما كانت تغنى فى فرق «الكورس»، لأنها كانت تمتاز بجمال الصوت ورخامته حتى أنها

فكرت فى الاتجاه للغناء الفردى بعد أن برعت فى تقليد أم كلثوم فى أشهر أغنياتها التى كانت ذائعة فى ذلك الوقت.

البداية

وفى فرقة فاطمة رشدى كانت البداية الحقيقية «لنجمة إبراهيم» كممثلة، وكان ذلك عام ١٩٣٠، وسافرت مع الفرقة فى رحلة فنية إلى العراق، وقد شاركت بالغناء فى مسرحيتى «شهرزاد» و«العشرة الطيبة» اللتين قدم ألحانهما الموسيقار الخالد سيد درويش.

بعد عودتها من العراق انفصلت «نجمة إبراهيم» عن فرقة فاطمة رشدى، وكونت فرقة مسرحية خاصة بها قدمت على مسرح «برنتانيا» بشارع عماد الدين مسرحية اجتماعية بعنوان «مأساة الحلمية» من تأليف شوكت التونى المحامى، وقام بدور الفتى الأول أمامها عبدالسلام الشريف عميد المعهد العالى للفنون فيما بعد، والذى كان فى ذلك الوقت لايزال طالبا بالفنون الجميلة.. ولعل مما يدعو للدهشة أن هذه الممثلة التى توجها النقاد والجمهور بلقب «ملكة الرعب» وأدوار الشر قد لعبت فى بداية حياتها دور «غادة الكاميليا» أمام الممثل المعروف حسن البارودى الذى قام بدور «أرمان دوفال».

وقدمت «نجمة إبراهيم» هذه المسرحية المشهورة فى إحدى رحلاتها الفنية إلى السودان، وفى الفترة المجهولة من حياة «نجمة إبراهيم» عملت لفترة وجيزة كسكرتيرة فى إدارة مجلة «اللطائف» التى كان يصدرها إسكندر مكاريوس لكن عاودها الحنين إلى المسرح وحياة الفن فالتحقت كممثلة بالفرقة القومية «المسرح القومى» التى تأسست عام ١٩٣٥ وأسند إليها مخرجو الفرقة كثيرا من الأدوار البارزة التى أجادت تمثيلها على المسرح، إلى جانب زميلاتها من كبار الممثلات فى الفرقة مثل زينب صدقى وزوزو حمدى الحكيم وإحسان الشريف وأمينة رزق وعلوية جميل.

ومن بين تلك المسرحيات التى شاركت «نجمة إبراهيم» فى تمثيلها «تلميذ الشيطان» للكاتب الإنجليزى برنارد شو «مروحة الليدى وندومير»، و«زوج كامل» للكاتب الإنجليزى أيضا أوسكار وايلد، كذلك مسرحيات عزيز أباظة الشعرية «قيس وليلى» والعباسة و(الناصر)، ومسرحية أحمد شوقى «الست

هدى»، كما قامت فى مسرحية شوقى الشعرية «مجنون ليلى» بدور غنائى، وهو دور الحادى.

وتزوجت من مسلم!

ولجمال صوتها الذى شهد له الجميع رشحت «نجمة إبراهيم» للسفر إلى إيطاليا لدراسة الغناء المسرحى والأوبرالى، ولكن شغفها بالتمثيل طغى على شغفها بالموسيقى والغناء فاستمرت كممثلة تقوم بالغناء فى بعض الأدوار التى تتطلب ذلك.

وفى منتصف الأربعينيات تزوجت «نجمة إبراهيم» من الممثل عباس يونس الذى كان زميلا لها فى الفرقة القومية، بعد أن درس التمثيل والإخراج المسرحى فى لندن، كما كان مسرحيا وناقدا وإذاعيا وموسيقارا، حتى حق عليه لقب «الكشكول» الذى اشتهر به فى الوسط الفنى، لكثرة معارفه وثقافته العميقة.

تزوجت «نجمة وعباس» عام ١٩٤٤ ولكنهما كانا قد تعارفا حين تزاملا فى فرقة فاطمة رشدى وسافرا معا فى الرحلة الفنية التى قامت بها الفرقة إلى العراق عام ١٩٣٠ وكان عباس يونس شديد الإعجاب «بنجمة إبراهيم» وبصوتها فى الأداء والغناء وكان «يونس» ملحنا ومطربا بالفرقة قام بوضع بعض الألحان لمسرحياتها الغنائية.. وشاركت «نجمة إبراهيم» فى غنائها بصوتها وهى مسرحيات «زليخة امرأة العزيز» و«البعث» من تأليف الكاتب الروسى الشهير تولستوى.

ولم يقتنع عباس يونس بدراسته للتمثيل فى لندن؛ إذ كان طموحه فى دراسة المسرح الغنائى، واكتفى بمشاهداته الشخصية للفرق العالمية التى تقدم عروضها على مسرح «دار الأوبرا»، وقد أثر عباس يونس كثيرا فى شخصية زوجته «نجمة إبراهيم» فكان لها بمثابة الأستاذ الذى يصقل مواهبها ويزيد من ثقافتها وتعليمها، وقد أخرج لها برامج إذاعية وغنائية مثل «زبيدة» عن مسرحية العباسة لعزيز أباظة.

مرحلة التحول

وجاءت مرحلة التحول فى حياة «غادة الكاميليا» نجمة إبراهيم ذات الصوت

الرخيم والأدوار البسيطة لتصبح بطلة لأدوار الفزع والرعب، حينما أسند إليها المخرج صلاح أبوسيف فى عام ١٩٥٣ دور السفاحة «ريا» فى فيلمه وفيلمها الشهير «ريا وسكينة» وقد لعب أنور وجدى أمامها دور الفتى الأول، وشاركتها البطولة فيه زوزو حمدى الحكيم التى قامت بدور سكينة.. وزوزو هذه هى الممثلة الجميلة والرقيقة التى أحبها الشاعر الطبيب إبراهيم ناجى وكتب فيها قصيدة «الأطلال» التى غنتها كوكب الشرق أم كلثوم بعد ذلك.. وقد جاء فى وصفها على لسانه: «أين من عينى حبيب.. ساحر.. فيه عز وجلال وحياء».

وهذا الحبيب الساحر الذى فيه عز وجلال وحياء هى الممثلة زوزو حمدى الحكيم التى أرعبت المشاهدين وهى تقوم بدور «سكينة» فى فيلم ريا وسكينة مع «نجمة إبراهيم» فلم يكن التحول الذى طرأ على «نجمة إبراهيم» بعيدا عن زميلتها زوزو حمدى الحكيم التى تحولت هى الأخرى إلى ممثلة مرعبة وشريرة.

وقد كتبت قصة هذا الفيلم من واقع ملف تلك القضية التى هزت مدينة الإسكندرية وبقية المدن المصرية فى بداية العشرينيات وقد شارك الكاتب الكبير نجيب محفوظ فى وضع السيناريو والحوار لقصة الفيلم التى تتحدث عن سفاحتين هما «ريا» وأختها «سكينة» اللتين كانتا تقومان باستدراج الفتيات والنساء إلى وكرهما ثم تقتلان ضحاياهما بعد أن تسرقا الحلى والأموال التى بحوزتهن، وإذا كان مجرد ذكر هاتين الشخصيتين يثير الرعب والفزع، فما بالك بتجسيد شخصيتيهما على الشاشة فى فيلم يخرجه صلاح أبوسيف ويكتبه نجيب محفوظ وتمثله نجمة إبراهيم وزوزو حمدى الحكيم؟

وقد انطبعت الصورة الشريرة لنجمة إبراهيم فى أذهان المشاهدين والجمهور حتى أنهم أطلقوا عليها بعد ذلك اسم «ريا» ناسين اسمها الحقيقى الذى كان مشهورا فيما سبق، وأصبح المخرجون يبحثون عن «نجمة إبراهيم» ليسندوا إليها أدوار الشر فيما تلا من أفلام مصرية.. فأصبحت «شريرة الشاشة» العربية بحق وملكة الرعب كما كان يلقبها النقاد والجمهور، بينما كانت فى حقيقة أمرها رقيقة وحساسة ومثقفة وأديبة، والحقيقة أن دور «ريا» لم يكن هو أول أدوار «نجمة إبراهيم» الشريرة والمرعبة على الشاشة،

فقد كان أول أدوارها فى هذا الاتجاه هو دور المتسولة العجوز فى فيلم «اليتيمتان» الذى أخرجه مخرج الروائع حسن الإمام فى عام ١٩٥٠وهو بطولة فاتن حمامة وماجدة.. وكان ذلك قبل فيلم «ريا وسكينة» بثلاث سنوات كاملة.. إلا أن دورها فى فيلم «ريا وسكينة» طغى على أدوارها السابقة بما فيها الأدوار الشريرة ذاتها.

من أجل مصر

وقد بلغ من نجاح الفيلم أن كتب زوجها عباس يونس مسرحية بعنوان «سر السفاحة ريا» لتقدمها «نجمة إبراهيم» على المسرح بفرقتها التى أسستها عام ١٩٥٥ مع زوجها عباس يونس، وقد خصصت «نجمة إبراهيم» إيراد الليلة الأولى من المسرحية لتسليح الجيش المصرى بعد إعلان جمال عبدالناصر قراره الشهير «كسر احتكار السلاح» واستيراد السلاح للجيش المصرى من دول الكتلة الشرقية، بعد أن كان معظم تسليحه من دول الغرب.. وقد حضر أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة ليلة الافتتاح التى خصص إيرادها لتسليح الجيش المصرى وبعد انتهاء المسرحية صعد على خشبة المسرح وقام بمصافحة الممثلين فردا فردا ثم قام برفع يد «نجمة إبراهيم» وعباس يونس وسط عاصفة مدوية من تصفيق الجمهور وتشجيعه، وقد اعتمدت هذه الفرقة فى هذا العرض على مشاهد بعض الممثلين الهواة، إلى جانب طلبة المعهد العالى للفنون المسرحية الذين أصبحوا نجوما فيما بعد، مثل حسن حامد وأحمد أباظة ومحمد الدفراوى وعادل المهيلمى وأنور إسماعيل، وعبدالسلام محمد.. بينما شارك النجم السينمائى حسن يوسف فى الإدارة للمسرحية، إذ لم يكن قد بدأ التمثيل بعد.

تكريم الدولة

لكن فرقة نجمة إبراهيم المسرحية لم تستمر طويلا، وإن ظلت صاحبتها الفنانة نجمة إبراهيم تواصل مشوارها الفنى كممثلة على خشبة المسرح وفى السينما والإذاعة حتى داهمها المرض فى أواخر الخمسينيات وتعرضت لفقد بصرها عام ١٩٦٣، وسافرت على نفقة الدولة إلى أسبانيا ليعالجها الدكتور باركيرى أكبر إخصائى فى طب العيون فى ذلك الوقت.. وقد نجح الطبيب

العالمى فى أن يعيد للممثلة المصرية بصرها، ولكن لم تلبث أن داهمتها أمراض أخرى، أجبرتها على الاعتزال لمدة ثلاثة عشر عاما حتى ماتت عام ١٩٧٦ فى القاهرة.. وقد لاقت «نجمة إبراهيم» كل تقدير من وطنها مصر، فمنحتها الدولة وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، وحصلت على معاش استثنائى هى وزوجها الفنان عباس يونس تكريما لا ولموقفها الوطنى وحبها لمصر.. وطناً للحب والتسامح.

لم تكن نجمة إبراهيم مجرد ممثلة أو هاوية، ولكنها كانت أديبة ومثقفة، وكاتبة بارعة حفظت أجزاء من القرآن الكريم فى طفولتها، وكثيرا من الشعر العربى واطلعت باستفاضة وتوسع على تراث الأدب العربى.

صاحبة رسالة

ومن رأيها أن الممثلة المصرية أجدر ممثلات العالم بالتقدير والاحترام.. إذ كتبت مقالا تحت هذا العنوان قالت فيه:

«نشأت الممثلة الأوروبية منذ عهد بعيد فى ظروف تشبه تلك التى نشأت فيها زميلتها الممثلة المصرية منذ عهد قريب، إلا أن الأولى بعد كر الأيام والأعوام هديت بعد ضلال إلى سبيل مهدها لها الممهدون وعبدها المعبدون، فسارت فى ثقة وأمان إلى أن بلغت ما بلغت من كمال - أو قريب من الكمال - أما الممثلة المصرية فإنها إلى الآن عصامية ولا يرجع الفضل فيما كسبت - إن كانت قد كسبت شيئا - إلا لها ولزميلاتها أفراد تلك الأسرة النبيلة، الذين لا يثنيهم عن الجهاد فى سبيل الفن والوطن هضم حقهم الأدبى والمادى معا.. كان الحجاب سائدا فى الشرق يوم أن نشأ المسرح فيه، فعدم المسرح المرأة بسبب عقبة الحجاب ولكن رجال المسرح المبشرين لم يستسلموا إلى اليأس بل ذللوا العقبة فى جرأة وشجاعة أمثالهم من قدماء الغربيين فراح بعضهم يقوم بتمثيل أدوار النساء فهيأوا بذلك للمرأة مكانها على المسرح وربطوا بينها وبينه بما هو لا محالة جاذبها إلى أحضانه غداً أو بعد غد.. وتم ذلك بالفعل بعد وقت قصير.. وسبق إلى المسرح من سبق من النساء اليهوديات والمسيحيات بالشام.. فكان لهن فضل تشجيع المسلمات فتبعنهن ولحقن بهن بعد قليل، وفى هذا المعترك ظهرت الممثلة المصرية، ولم يمض عهد طويل حتى كان لها التفوق والسبق، وانعقد لها لواء الزعامة وزميلاتها من الممثلات

الشرقيات، كان ذلك فى وقت أرغت فيه الرجعية وأزبدت كيف يرضى رجل لنفسه أن يحل محل «خيال الظل» وأن يقوم مقام «الأراجوز» أمثل هذا كرامة؟ أمثل هذا قدر واحترام؟ وأمثل هذا يُصاهر، أمثل هذا جدير إلا أن يحرم من الحسب والنسب إن كان ذا حسب ونسب؟ أمثل هذا تقبل شهادته أمام القضاء؟.. ولم يكن هذا مستغربا من رجعية حمقاء عمياء ولم يكن هذا مستغربا من رجعية لم تَسُدّ فى مصر إلا بعد أن فقدت السيادة التى كانت لها على أمم الغرب، أمة بعد أمة غير مخلفة هناك إلا أشباحا هزيلة مازالت الدائرة تضيق عليها حتى أصبحت خيوطا واهية من الظلمة تكاد لا تلحظ فى محيط النور، هذا ما كانت تراه الرجعية المصرية حينذاك فى الممثل فكيف كان رأيها إذن فى الممثلة؟!»

لا شك أنه كان أدهى وأمر.. لقد حسبت البريئة فى عداد المارقات الخارجات على الدين والعرف سواء بسواء، ولكنها مضت قدما لم تقعدها قيود الظلم وأثقال الزراية والنكران.. مضت قدما تخترق الغياهب بنور الإيمان.. مضت قدما على حد الأشواك.. مضت صعدا على حد العقبات حتى وصلت فى زمن قصير إلى مرتبة زميلاتها الغربيات، وما كان لها من هاد كهديهن، وإنما هداها الله جزاء ما صبرت على البلاء وثابرت على تلبية النداء، كالشمعة تحترق لتضىء وهى بذلك راضية يطغى شعورها بنبيل غايتها وخطر رسالتها على الشعور بتباريح الأذى وبالغ الألم».

10



نجوى سالم

● أشهرت إسلامها.. ولكن عقدة اليهود ظلت تطاردها!

● رفضت الزواج من الريحانى.. فاختلف معها!

● أول فنانة تحصل على درع الجهاد المقدس!

● وسط الجنود على الجبهة المصرية .. لرفع معنوياتهم !

● «العبيطة» التى فازت بجائزة الدولة وتقديرها!

اسمها الحقيقى نظيرة موسى شحاتة.. أما اسم التدليل الذى عرفت به فى أوساط الأقارب والأصدقاء فهو «نينات»!

ولدت فى القاهرة فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٢٥ من أب لبنان وأم أسبانية من أصل يهودى، وقد حصل الأبوان اللبنانى والأسبانية على الجنسية المصرية فأصبحت ابنتهما «نظيرة» مصرية بالتبعية. نشأت «نينات» أو نظيرة كما جاء فى أوراقها الرسمية فى أسرة فقيرة، إذ كان يعمل والدها إسكافياً «صانع أحذية» ونظراً لظروفه الصعبة فقد توقفت «نظيرة» فى تعليمها عند المرحلة الابتدائية فقط أشهرت نجوى سالم إسلامها عام ١٩٦٠، وتزوجت من الناقد الفنى المعروف عبدالفتاح البارودى الذى يكتب فى جريدة «الأخبار» القاهرية بابا يوميا بعنوان «للنقد فقط».

يقول عبدالفتاح البارودى إنها منذ أن أشهرت «نظيرة» إسلامها، وهى تصوم وتصلى وتزكى كما يجب أن يفعل المسلم صحيح الدين، كما كانت تحمل المصحف معها فى كل مكان تذهب إليه، وقد دفنت بعد وفاتها فى مقابر المسلمين بحى البساتين بالقاهرة.

لعب عيال

وعن بدايتها الفنية قالت نجوى سالم ذات يوم لأحد الصحفيين: كان بيتهم مجاوراً لمكتب متعهد الحفلات المشهور «فيتسايون» الذى جاء لأسرتها ذات يوم بـ «بون» مجانى لحضور أحد العروض بمسرح الريحانى وكان نجيب الريحانى يقدم وقتها مسرحية «حكاية كل يوم» وفى نهاية المسرحية طلبت نظيرة من «فيتسايون» أن يقدمها للريحانى فلما ذهب بها إليه وجدته يداعب قطة، فقالت له إنها معجبة جداً بالتمثيل، وتريد أن يلحقها بفرقته فضحك نجيب الريحانى وهو يقول لها «أنت لسه صغيرة يا شاطرة ما تنفعيناش» فقد كانت لاتزال وقتها فى الثالثة عشرة من عمرها.

عادت «نظيرة» ليلتها وهى تحلم بالوقوف على خشبة المسرح وبعد أسبوعين من التفكير لبست حذاء أمها ذا الكعب العالى و«لطخت» وجهها بالبودرة والمساحيق ثم ذهبت لمقابلة نجيب الريحانى الذى لم يكد يراها حتى نهرها قائلا: لقد صغرت فى نظرى الآن خمس سنين أخرى عما رأيتك فى المرة الأولى ونصحها بأن تسرع بالعودة إلى المنزل لتعيد الحذاء إلى والدتها قبل أن تكتشف سرقته!! ولكن «نظيرة» لم تيأس فقد واظبت على زيارة الريحانى مرة كل أسبوع حتى ضج منها فألحقها فى النهاية بفرقته كهاوية وظلت عاماً كاملاً بلا مرتب، ثم قرر لها أربعة جنيهات في الشهر مع بداية عامها الثانى مع الفرقة، وقد ظل مرتبها يرتفع باستمرار حتى وصل فى عام ١٩٤٩ ـ وهو العام الذى شهد وفاة الريحانى ـ إلى أعلى معدل لبطلة مسرحية.

بطلة بالصدفة!

وحدث ذات يوم أن مرضت «ميمى شكيب» بطلة فرقة الريحانى فى ذلك الوقت، وكانت الرواية المعلن عنها حينئذ «استنى بختك»، وقد نفدت تذاكر ليلة الافتتاح كلها قبل موعد الحفل، واحتشد الجمهور فى مقاعده انتظاراً لرفع الستار، ولكن فجأة جاء من يقول لنجيب الريحانى إن ميمى شكيب بطلة العرض مريضة ولن تستطيع الحضور الليلة ولم يجد نجيب الريحانى أمامه غير قرار إلغاء العرض فى تلك الليلة وإعادة ثمن التذاكر للجمهور ولكن الملقن محمد لطفى اقترح عليه أن يسند الدور للفتاة «نجوى» وهو اسمها الجديد الذى كان نجيب الريحانى قد اختاره لها بنفسه.

وبعد تردد استدعاها نجيب الريحانى وسألها إن كانت تستطيع أن تلعب دور «بنانا» فى المسرحية فأبدت استعدادها بل وتحمسها فقال لها الريحانى إنه لا يجبرها وأنها تستطيع أن ترفض ولكنها أكدت له أنها تحفظ الدور لكثرة ما أحبته من خلال التدريبات، وهى تشاهد ميمى شكيب تؤديه كل ليلة أمامها وبالفعل ظهرت نجوى سالم على المسرح أمام نجيب الريحانى وبقية زملائها من أعضاء الفرقة ولعبت الدور كممثلة محترفة لا يصدق من رآها أنها تقف على خشبة المسرح لأول مرة دون «بروفات» أو استعداد سوى إصرارها على أن تتمسك بالفرصة التى وضعتها أمامها الأقدار بمحض الصدفة وبعد انتهاء الحفل ذهبت إلى نجيب الريحانى لتسأله عن رأيه فى

أدائها فمنحها عشرين جنيهاً كمكافأة، كما أعطى عشرين جنيها للملقن محمد لطفى الذى اكتشفها وقدمها إليه!

نوافذ أخرى

وفى تلك الليلة شهد المسرح مولد نجمة جديدة اسمها «نجوى سالم» التى لعبت الكثير من الأدوار التى أدتها على مسرح الريحانى وهى تقوم بالبطولة أمام عملاق الكوميديا «شارلى شابلن» العرب.. نجيب الريحانى.

ومن المسرحيات التى قامت بدور البطولة فيها «استنى بختك»، «لو كنت حليوة»، «مين يعاند ست»، «خلينى أتبحبح»، «مع إيقاف التنفيذ»، «عشم إبليس»، «على عينك يا تاجر»، و«كلام فى سرك».

وقد ظل راتب نجوى سالم بفرقة الريحانى فى ارتفاع مستمر حتى وصل إلى خمسين جنيها فى الليلة الواحدة، ولكنها لم تكن تحتفظ بورقة صحيحة من فئة الخمسة جنيهات، فقد كانت تتحمل عبء الصرف على أسرتها الفقيرة بعد وفاة والدها.

وفى بداية الستينيات عرفت مصر التليفزيون لأول مرة، فعرف الناس نجوى سالم بعد أن كانت ممثلة مسرحية فقط، وكان برنامج «من الجانى» الذى يُقدم كل ليلة هو أول عمل لها بالتليفزيون، وفى كل حلقة كانت نجوى سالم تقدم شخصية جديدة مختلفة، فكانت فرصة لتثبت قدرتها على الوقوف أمام الكاميرا بعد أن أكدت ذلك ـ ولسنوات طويلة ـ على خشبة المسرح.

ثم ظهرت فى عدة تمثيليات تليفزيونية زادت من شهرتها وتألقها خصوصا أدوارها فى مجلة «التليفزيون»، كما ظهرت فى تمثيلية «ولدى» مع شفيق نور الدين ومع جمال وطروب فى حلقات «مذكرات زوجية»، ثم حلقات «العابثة» مع المخرج حمادة عبدالوهاب، و«غارة زوجية».. وتمثيليات تليفزيونية عديدة أخرى.

ويقول زوجها عبدالفتاح البارودى فى أحد اللقاءات الصحفية التى أجريت معه بعد وفاتها: أنه نشأت بينها وبين نجيب الريحانى علاقة حب فطلب الزواج منها، ولكنه اشترط عليها اعتزال التمثيل، فرفضت قائلة: إنها تزوجت المسرح ولا تستطيع أن تجمع بين زوجين فى آن.. كما أنها لا تستطيع أن تطلق المسرح الذى تعشقه أكثر من حياتها ذاتها!

وقد أحدث هذا الرفض نزاعاً بين الريحانى ونجوى سالم.. ولكنه لم يؤد إلى انفصالها عن الفرقة أو تخلى الريحانى عنها.

وبعد وفاة الريحانى عملت نجوى سالم مع بديع خيرى ولكن لفترة قصيرة.. حيث وقع الخلاف بينهما أيضا فتركت الفرقة لتعمل بمسارح التليفزيون.. وقدمت عشر مسرحيات بالإضافة إلى التمثيليات التليفزيونية.. التى لم يكن يمر شهر دون أن يعرض لها التليفزيون واحدة منها.

وفى عام ١٩٧٠ فكرت فى أن تنشىء فرقة مسرحية خاصة بها، أطلقت عليها فرقة «نجوى سالم» وكانت تقدم عروضها على مسرح معهد الموسيقى العربية بشارع رمسيس بوسط القاهرة.

وكانت مسرحية «موزة و٣ سكاكين» هى أول مسرحية تقدمها نجوى سالم مع فرقتها الجديدة، وقد لعب دور البطولة معها الممثل عماد حمدى الذى كان فى أوج تألقه الفنى.. ومن تلاميذها الذين قدمتهم لأول مرة وأصبحوا نجوماً بعد ذلك محمد صبحى ومحمد نجم ومظهر أبوالنجا، وعبدالمنعم البارودى الملحن الذى كان يقدم ألحانه فى مسرحياتها.

أما فى السينما فلم يكن حظها كما هو فى المسرح أو التليفزيون، حيث اشتهرت بتقديم دور الخادمة أو «العبيطة» ولم يكن يطلبها مخرج إلا لأداء هذه الأدوار فقط!

سر المنتحرة

وفى عام ١٩٦٦ دخلت نجوى سالم مستشفى «بهمان» للأمراض النفسية والعصبية فى حلوان على إثر وفاة والدتها التى كانت تعيش معها، وبعد أن تماثلت للشفاء، أرسلت خطابا للمسئولين تقول فيه إنها على استعداد للاشتراك فى حفلات وعروض مسرحية يخصص دخلها لصالح صندوق المعاشات للفنانين وهو الذى كان قد تكفل بكل مصاريفها أثناء علاجها بالمستشفى وتوقفها عن العمل بسبب المرض، وذلك عرفانا منها بجميل الدولة التى قررت علاجها على نفقتها.

وكانت نجوى سالم قد حاولت الانتحار بعد وفاة أمها فتناولت كمية من الحبوب المخدرة، نقلت على إثرها لمستشفى دار الشفاء لإسعافها، ومنها انتقلت إلى مستشفى الأمراض العصبية بحلوان؛ لعلاجها من أثر الصدمة التى ألمت بها من جراء الحادث، وقد قررت الدولة التكفل بكل مصاريف علاجها كفنانة مصرية كبيرة أدت دورها على مسرح الفن باقتدار.

عقدة الاضطهاد!

والحقيقة أن نجوى سالم ـ كما قرر أطباؤها المعالجون ـ كانت تعانى من عقدة الاضطهاد، وهى العقدة التى تلازم عادة معظم ـ إن لم يكن كل ـ يهود العالم فكانت نجوى سالم دائمة الشكوى من أن المخرجين يتجاهلونها ولا يسندون إليها إلا الأدوار التى لا تناسب إمكانياتها الكبيرة، كما أنهم يضعون اسمها بعد أسماء من هم أقل منها خبرةً ومكانةً، كما كانت تشكو دائما من أنها بعيدة عن اهتمام النقاد وتعليقاتهم أو الإشادة التى كانت تتوقعها منهم.

وتعلل نجوى سالم ذلك بنفسها فتقول فى أحد حواراتها الصحفية: إن الأدوار التى اشتركت بها فى مسرح الريحانى لم تكن أدواراً كبيرة بالدرجة التى تدعو النقاد للحديث عنها أو الإشادة بها. أما أدوارها فى التليفزيون فقد كان تشجيع النقاد لها مناسباً لحجم الأدوار التى أدتها فيه.

وجمهور مسرح الريحانى كان يعرف أن نجوى سالم كانت بارعة فى أداء أدوار الخادمة والفتاة الساذجة، وحينما انتقلت للعمل بالمسرح الكوميدى كانت فرحتها كبيرة فقد تحققت لها الفرصة التى طال انتظارها بعد أن ظلت طوال عشرين عاماً تلعب الأدوار الثانوية على مسرح الريحانى، وقد كان عزاؤها طوال تلك الفترة أنها تقف إلى جوار نجيب الريحانى العظيم.

وحينما أتيحت لها فرصة الانتقال إلى التليفزيون شعرت بالتقدير الكبير الذى حرمت منه طوال سنواتها الماضية.

وفى عام ١٩٧٨ فازت نجوى سالم بجائزة الدولة، فى عيد الفن.. وتبرعت نجوى سالم بمبلغ ٢٠٠ جنيه من القيمة الإجمالية للجائزة لجمعية الوفاء والأمل ومعهد شلل الأطفال.

وقد كان لنجوى سالم فى الحقيقة دورها الوطنى الذى ينبغى الاعتراف به من الجميع، وعلى سبيل المثال فقد وجهت الدعوة لـ ٧٠ من أبطال حرب أكتوبر كل ليلة لمشاهدة مسرحيتها الجديدة «ممنوع لأقل من ٣٠ سنة» وكانت نجوى سالم تقف كل ليلة مع أعضاء فرقتها ليستقبلوا ضيوفها من أبطال حرب أكتوبر بالزهور والتصفيق.. كان ذلك عام ١٩٧٤.. وفى عام ١٩٧١ كانت نجوى سالم قد دخلت المستشفى وفى هذه المرة أيضا أصدر الدكتور محمد عبدالقادر حاتم، وزير الثقافة والإعلام فى ذلك الوقت قرارا بعلاج الفنانة نجوى سالم على نفقة الدولة، وصرف إعانة مالية لها لحين عودتها إلى العمل بعد شفائها التام.

وعلى الرغم من تكريم الدولة ورعايتها لها، ورغم كثرة الأدوار التى قامت بها فى المسرح والتليفزيون، فإن نجوى سالم كانت دائمة الشكوى من اهمال المخرجين والنقاد لها، ولكن المخرجين كانوا يردون عليها مبررين موقفهم إزاءها بأنها عصبية المزاج وحادة الطباع، مما لا يشجعهم على التعامل معها، كما أنها دائمة الخروج على النص، وقليلة الالتزام بتعليمات المخرجين لها حتى أن الدكتور مصطفى محمود كتب فى الصحف حاملاً عليها؛ بسبب خروجها على النص فى مسرحية «شلة الأنس» التى قدمتها على المسرح عام ١٩٦٥، ونتيجة لذلك كله فقد وقعت نجوى سالم فى أزمة مالية عجزت على إثرها عن دفع إيجار شقتها لمدة ثلاثة شهور متتالية.

تقدير الدولة

وكانت نجوى سالم قد رهنت محتويات شقتها لتكوين فرقة مسرحية طافت بها المحافظات كما قدمت عروضها على الجبهة فى منطقة قناة السويس؛ للترفيه عن المقاتلين المصريين أثناء حرب الاستنزاف، كما قدمت عروض فرقتها على مسارح الإسكندرية لصالح ضحايا العدوان الإسرائيلى الغاشم.. وقد اضطرت الفرقة للتوقف بعدها فأصيبت نجوى سالم بالإفلاس، وعجزت عن فك الرهن عن محتويات شقتها، كما عجزت عن دفع إيجارها فانهارت أعصابها وأصيبت بالذهول، وتقرر علاجها على نفقة الدولة.

وكانت نجوى سالم قد أشرفت على عدد من الحفلات الغنائية الساهرة التى خصص دخلها لرعاية الفنانين، كما أقامت عددا من الحفلات على مسرح سيد درويش لمسرحيتها «موزة و٣ سكاكين» دعت إليها أكثر من ٨٠٠ من مرضى المستشفيات الخيرية ترفيها عنهم، ولهذا اشتهرت نجوى سالم فى الوسط الفنى بإنسانيتها، فحظيت باحترام وتقدير زملائها الذين كانوا يلبون طلباتها ويشاركونها مشروعاتها الخيرية والإنسانية.

ومن ناحيتها فلم تبخل عليها الدولة فى عيد الفن بالتقدير والاعتراف، كما منحها قائد «الجبهة درع الجهاد المقدس» تقديراً لها ولدورها الإنسانى فى الترفيه عن جنود الجبهة أثناء حرب الاستنزاف بالحفلات التى كانت تقيمها على خط النار الأمامى، وكانت نجوى سالم هى الفنانة المصرية الوحيدة التى منحت هذه الدرع، رغم مشاركة معظم الفنانين معها فى الحفلات التى كانت تقام وسط

الجنود بجبهة القتال. وقد عينتها الدولة ممثلة محترفة بالمسرح القومى الذى انتقلت منه - بناء على رغبتها - إلى المسرح الكوميدى، كما كانت وزارة الثقافة تمدها بالكثير من الإعانات المالية أثناء أزمتها الصحية والنفسية إلا أنها كانت ترفض بإباء تلك الإعانات، وتقول إنها ترفض الصدقة، وتطالب بحقها فى العمل فى مجتمع اشتراكى يكفل حق العمل للقادرين عليه من أبنائه.

امرأة مجاهدة

وفى حقيقة الأمر كانت نجوى سالم من أكثر الممثلات ظهوراً على المسرح وأوفرهن حظاً فى التليفزيون، ولم يكن هناك ما يبرر شكواها الدائمة من قلة العمل وإهمال المخرجين لها.. أما فى السينما فقد كانت نجوى سالم أقلهن حظاً بالفعل.. وكانت تطمع أن تختارها المؤسسة العامة للسينما - وهى شركة إنتاج وتوزيع تمتلكها الدولة - للقيام ببعض الأدوار فى الأفلام التى تقوم بإنتاجها، فلم يعد الإنتاج السينمائى خاصاً بالمنتجين الأفراد وحدهم، وهم الذين تتحكم الأهواء والمصالح والعلاقات الخاصة فى اختيارهم للممثلين، أما وقد أصبح الإنتاج السينمائى فى يد الدولة فقد كانت تنتظر أن تتيح لها الفرصة للعمل فى السينما إلى جانب عملها فى المسرح والتليفزيون فلما تأخرت فرصتها - ربما لأسباب فنية - راحت تشكو قلة العمل والإهمال - حتى وقعت فى براثن الوهم والعصاب، وأصبحت مريضة بأعصابها حتى أن بعض زملائها كانو يطلقون عليها اسم «نوبة» سالم متندرين بعصبيتها الزائدة عن الحد الطبيعى!

وقد اشتهرت نجوى سالم - إلى جانب ذلك - بوفائها وإنسانيتها حتى أنها كانت تعلق صورة نجيب الريحانى وميمى شكيب فى غرفة نومها وفوق سريرها حتى ماتت، كما كانت الفنانة الوحيدة التى تزور الفنان عبدالفتاح القصرى أثناء مرضه الأخير، وكانت تدعو زملاءها والدولة أيضا لرعايته وعلاجه، كما كانت أول من يزور زميلاً أو زميلة أصابها مكروه، وكانت تطوف بفرقتها المسرحية على المستشفيات للترفيه عن مرضاها، وقد اختارت مستشفى المعادى للقوات المسلحة للترفيه عن مرضاها.. وهى لا تدرى أنها ستموت فيه!!

يقول زوجها الناقد الفنى عبدالفتاح البارودى إن نجوى سالم كانت مدرسة فنية لن تتكرر، كما لن تتكرر مارى منيب.

الفهرس

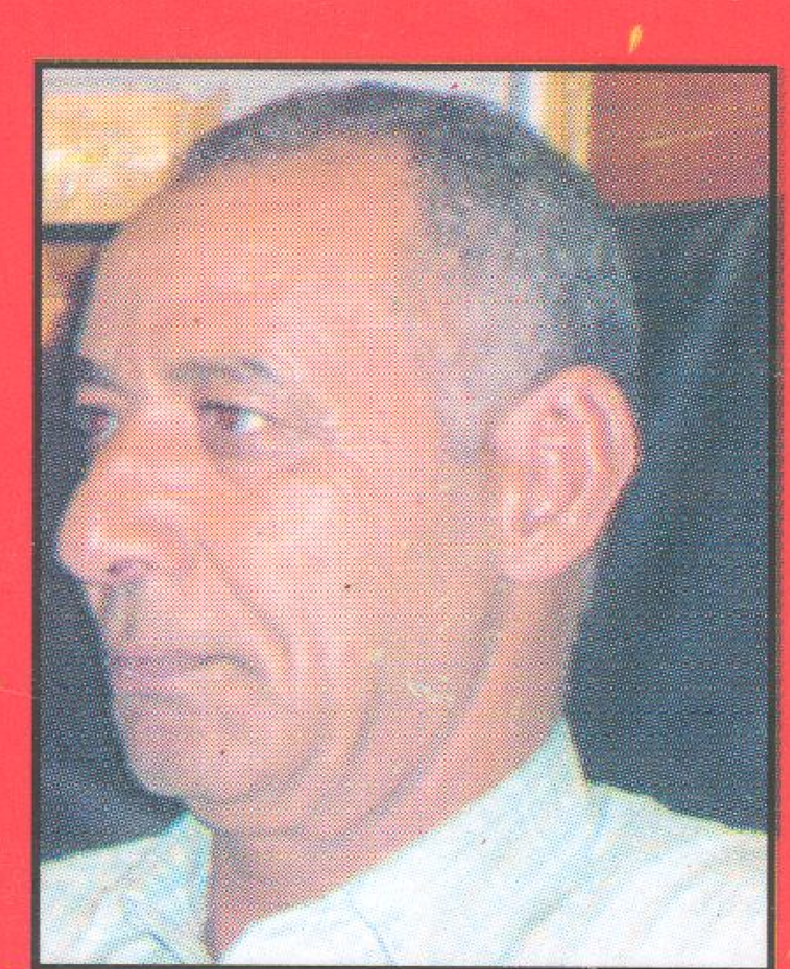
رقم الإيداع :٢٠٠٨/٣٥٦٧

الترقيم الدولى:8- 608- 236 - 977 I.S.B.N

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة


AMIRAL

المؤلف فى سطور



سليمان الحكيم

- ولد فى الأول من يناير عام ١٩٥٠ بالإسماعيلية.
- حصل على ليسانس الآداب قسم الصحافة جامعة القاهرة فى مطلع السبعينيات.
- عمل سكرتيرا لتحرير عدد من المجلات الثقافية منها الكاتب والثقافة.
- التحق بالعمل بمجلة أكتوبر ثم مديرا لتحرير سلسلة «اقرأ» و«كتابك» بدار المعارف.
- عمل بعدد من الصحف السورية واللبنانية منها «تشرين» و«السفير» البيروتية و«الأنباء» الكويتية.
- تولى رئاسة تحرير كتاب التعاون بدار التعاون بمصر.
- يكتب المقالات بعدد من الصحف المصرية الأسبوعية.
- له العديد من الكتب تتنوع موضوعاتها بين السياسى والتاريخى واللغوى والفنى.
- عضو نقابة الصحفيين منذ عام ١٩٧٦.



الثمن ١٠ جنيهات